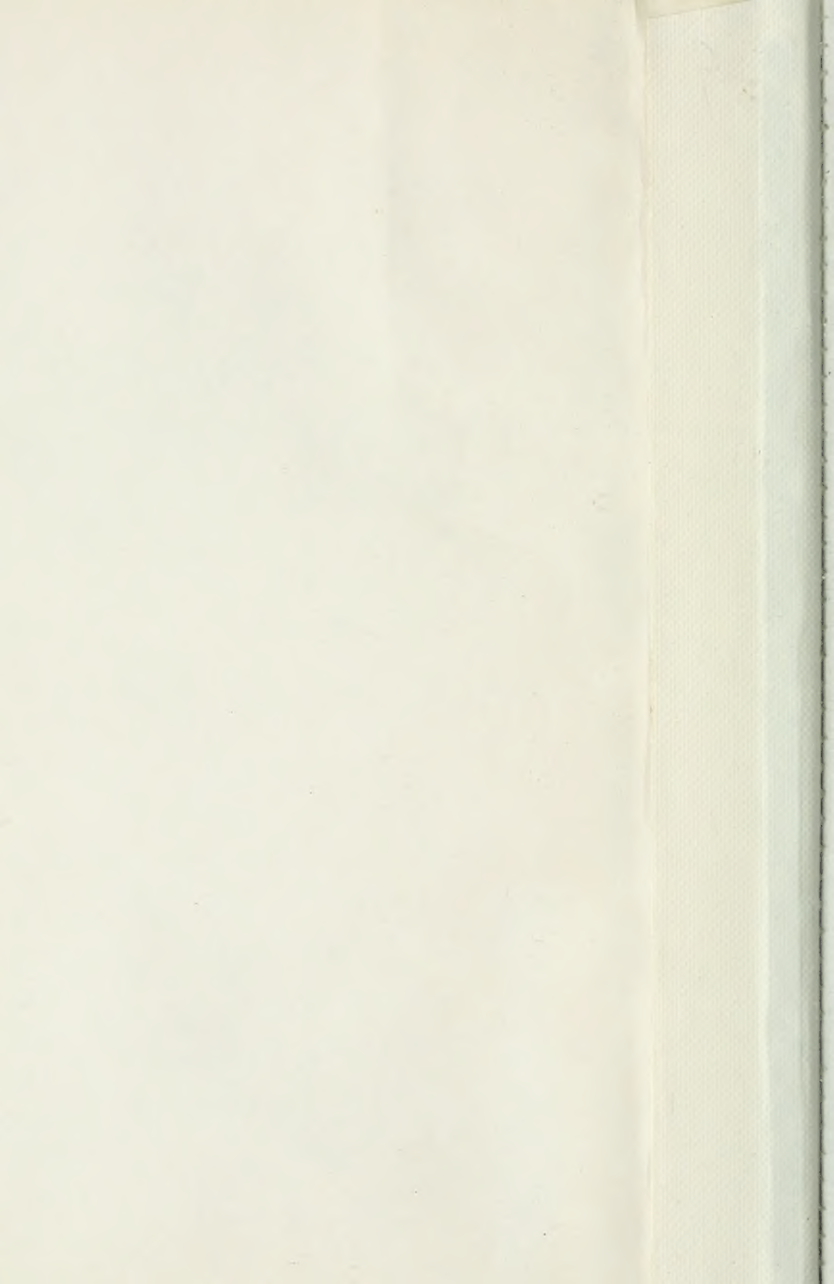
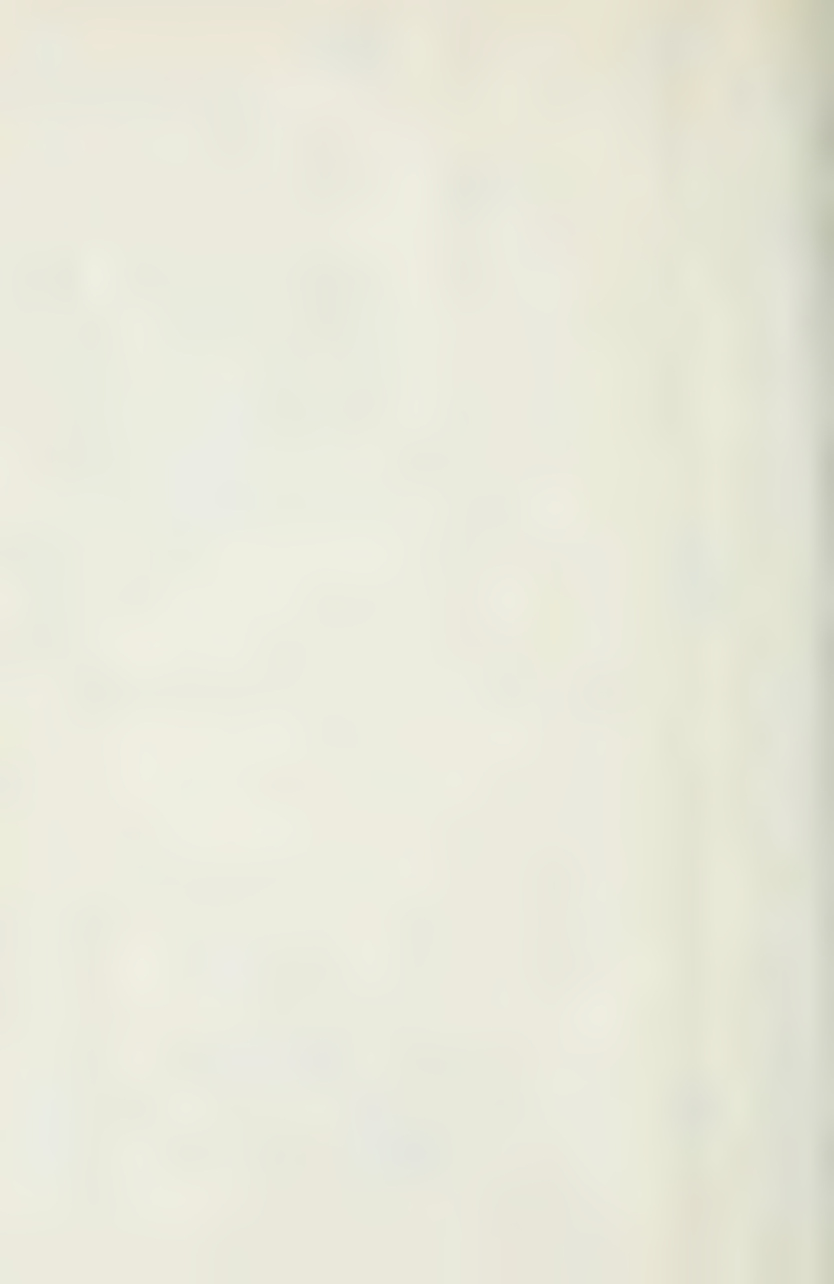












كتاب الكافي

في اللغة

تأليف

طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري

وفقه الله سبحانه لما يرضى

من قول وعمل

قام بطبعه الفقير اليه (فرج الله زكي الكردي)

وذلك بمطبعته (مطبعة كردستان العلمية) الكائنة

بدرب المسمط بملك سعادة المفضال احمد بك الحسيني

بجمالية مصر القاهرة سنة ١٣٢٦ هجرية



الحمد لله الذى خلق الانسان — علمه البيان — وميزه بذلك على سائر أجناس الحيوان • والصلاة والسلام على أفصح الانبياء بيانا — وأوضحهم حجة وبرهانا — أحمد (١)

---

(١) الأصل فى اسم التفضيل ان يبنى من الفاعل فاذا قيل زيد أشكر الناس كان المراد به اثبات كونه شاكراً وأنه يفضل على غيره في ذلك ولا يجوز ان يكون المراد اثبات كونه مشكورا وأنه يفضل على غيره في ذلك — • وأجاز الكوفيون ان يبنى من المفعول واستشهدوا على ذلك بنحو أشغل وأحب — وأجاب عنه البصريون بأن هذا شاذ فيقتصر فيه على ماسمع • وقد حاول بعض العلماء نصر الكوفيين حين اراد ان يجعل احمد بمعنى الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره ليكون أحمد كمحمد في المعنى فانهما وان كانا علمين ففيهما اشارة الى الصفة —

من أرسله لارشاد الخلائق — الى أسنى الحقائق — وعلى آله الكرام البرره — الذين اقتفوا أثره . — وصحبه أعلام العلم والهدايه — الذين كان لهم فى نشر آثاره أسمى عنايه . — وعلى التابعين لهم باحسان — ما أعرب عما فى النفس لسان .

﴿ أما بعد ﴾ فلما كان للغة العربية الشأن الذى لا يجهل أقبلت وجوه العلماء الأعلام عليها — وجعلوا وجهتهم تمهيد

فمحمد هو الذى يحمد كثيرا لكثرة الخصال التي يحمد عليها — وأحمد هو الذي يحمد اكثر مما يحمد غيره لزيادة خصاله المحمودة على غيره ممن تحمد خصاله — . وعندي ان مذهب البصريين أقوى — وأما أحمد فقد ورد عن العرب استعماله بالوجهين — ومنه قولهم العود أحمد فان معناه الابتداء محمود — والعود أحق بأن يحمد — ويجوز ان يكون المعنى ابتداء المعروف جالب للحمد الى نفسه والعود أجلب له قال زيد الخير

وأحسنت والاحسان منك سجية * فان عدت بالاحسان فالعود أحمد

وأحمد في هذه الخطبة وصف يشير الى الاسم وهو يحتمل الوجهين على السواء

السبيل اليها [١] . — كي لا يحلأ عن مواردها العذبة وارد — ولا يدرأ عن معاهدها الرحبة قاصد [٢] فبينوا قواعدها وأحكامها — ورفعوا أعلامها . وأفردوا كلاً من خالي الافراد والتأليف بالبيان — حتى كاد بيانهم يكون بمنزلة العيان — ونقبوا في البلاد عن شواردها — وجعلوا أسفارهم قيد أوابدها [٣] وأبرزوا في ذلك مصنفات مختلفة الاصناف —

---

(١) الوجه م وجمعه وجوه وأوجه — والوجه الوجيه وجمعه وجوه ومنه قدمت وجوه القوم أي ساداتهم ووجهاؤهم — والوجهة بالكسر القبلة والجهة وكل مكان استقبلته

(٢) حلأه عن الماء تحلئة وتحليئا طرده عنه ومنعه من وروده — وورد الماء ورودا بلغه ووافاه — والموارد جمع مورد وهو موضع الورود . — ودرأته عن الشيء دفعته عنه — . والمعاهد جمع معهد وهو المنزل الذي لايزال القوم اذا انتأوا عنه رجعوا اليه — والموضع الذي كنت تعهد به شيئاً — والرحب الواسع تقول بلد رحب وأرض رحبة

(٣) نقبوا في البلاد ذهبوا فيها وجالوا في كل مجال ونقبوا عن الأمر ونقروا بحثوا عنه — والنقاب ككتاب الرجل العلامة ونقيب القوم

مشحونة بصحاح الجواهر ممتازة عن الأصداف (1) ودعوا الناس اليها دعوة تامة — لتكون مأدبة الأدب لهم عامة (2)

ضمينهم" وعريفهم قيل له ذلك لانه ينقب عن اسرارهم ويعرف دخيلة أمرهم • والشوارد هى اللغات الغريبة عند الاسماع لقلة تداولها على الالسنة واستعمالها في المحاورات وهى جمع شاردة واصل الشرود النفرة يقال شرد البعير شرودا وشرادا اذا نفر فهو شارد • — وأبدت البهيمة توحشت فهى آبدة وهن أوابد — وابد الشاعر اتى بالعويص في شعره — واوابد الكلام غرائبه — واوابد الشعر هى التي لا تشا كل جودة

(١) اراد بصحاح الجواهر اللغات الصحيحة الفصيحة واراد بالاصداف ماسوى ذلك وكتب اللغة بهذا الاعتبار ثلاثة انواع

النوع الاول الكتب التي اقتصر فيها مؤلفوها على الجواهر الصحاح

والنوع الثاني الكتب التي ذكر فيها مؤلفوها النوعين غير أنهم ميزوا أحدهما عن الآخر فلم يقع في كتبهم التباس وهؤلاء كأرباب النوع الاول ممن استوجب الثناء الجم من الناس والى هذين الفريقين تشير هذه الفقرة

والنوع الثالث الكتب التي مزج مؤلفوها بين النوعين فكدروا على الناظر مورد العين وهؤلاء لم يخلهم من ملام من أولع بتهذيب الكلام

(٢) الادب أدب النفس وأدب الدرس — تقول منه أدُب الرجل

ثم اجتهدوا في فقه اللغة فأوضحوا اصوله المحكمة — وشرحوا فصوله المبهمة (١) حتى ظهر ما بهر من سرها الخفي

بالضم فهو أديب — • والمأدبة الطعام الذي يصنعه الرجل يدعو اليه الناس — وهي بضم الدال وأجاز بعضهم فيها الفتح وقال بعضهم هي بالفتح مفعلة من الأدب — وفي حديث ابن مسعود القرآن مأدبة الله في الارض — شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع وجمعها مآدب — • وأدب الرجل القوم أدبا من باب قصد صنع لهم طعاما ودعاهم اليه فهو آدب قال طرفة

نحن في المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الآدب فينا ينتقر

أي لا ترى الداعي يدعو بعضا دون بعض بل يعمهم بدعوته — وجمع الآدب أدبة مثل كاتب وكتبة

(٢) في اللغة ألفاظ تختص ببعض المواضع لا يجوز نقلها الى غيرها وتسمى معرفة ذلك بفقه اللغة — وذلك مثل الازهر والأشهب والأملح فان كل واحد منها يتضمن معنى الابيض غير ان الابيض وان وضع بالوضع العام لكل ما فيه بياض غير انه خص ما فيه بياض من الناس بالازهر ومن الخيل بالاشهب ومن الغنم بالاملح فاستعمال الابيض في هذه المواضع يعد مخالفة لحكم فقه اللغة ولا يصدر ذلك عن أديب يرعاها حق رعايتها وقد يراد بفقه اللغة ما هو أعم من ذلك كما هنا

ومن خصائصها الموثقة لمن هو بها حفي[1] ولم يزل التأليف فيها متواترا بقدر الامكان — مرعيا فيه حال الزمان والمكان[2] والناس لهم بما ألّف فيها أعظم إلف — حتى بلغ ذلك زهاء

---

(١) حفي به حفاوة بالغ في اكرامه والعناية بامره فهو حفي — والحفي أيضا المستقصي في السؤال — ومن الاول قوله تعالى (انه كان بي حفيا) ـ ومن الثاني قوله تعالى كأنك حفي عنها ـ وسر اللغة فن يبحث فيه عن اللغة كيف حدثت وكيف نمت وعن اشتقاق الالفاظ بعضها من بعض ليعلم الاصل فيها من الفرع وعن المناسبات بين الالفاظ والمعاني وعن خصائص اللغة الثابتة لها في نفسها أو المميزة لها عن غيرها وما اشبه ذلك وهو فن جليل الشان جزيل الفائدة غير أنه بعيد المنال الا على من سمت هممهم اليه وأقبلوا بوجوههم عليه وقد كتبنا فى ذلك ما يقرب مأخذه

(٢) لا يستغنى في عصر من الاعصار عن التأليف في فن من الفنون وان كانت المؤلفات فيه كثيرة لان لاختلاف الازمنة والامكنة مدخلا فى تجدد الاحتياج الى التأليف هذا اذا كان ذلك الفن مما لا يقبل الزيادة والنقص والتنقيح ولا يظن ذلك في فن من الفنون فان كان مما يقبل ذلك كان الاحتياج أظهر — ولم ينقطع التأليف فى عصر من الاعصار اوقطر من الاقطار الا لقلة الرغبة في العلم لا لقلة الاحتياج

ألف [١] ثم عرضت عوارض قضت بضعف العلم — وخفض أعلامه الشم . — [٢] ففترت في تحصيلها الهمم — وترك رعاية مالها من الذمم . حتى نجم عن ذلك ما نجم — وكاد أهلها في

الى التأليف غير أن للتأليف شروطاً لا يتسع هذا الموضع لبيانها ومن أهمها ان يكون المؤلف وافيا بما تدعو اليه الحاجة في ذلك العصر على وجه يوافق ادراك أهله

(١) قد ألف في اللغة ما لا يحصى من الكتب ما بين مطول ومختصر وعام في أنواع اللغة وخاص بنوع منها — ويحكى عن الصاحب بن عباد أن بعض الملوك ارسل اليه يسأله القدوم عليه فقال له في الجواب أحتاج الى ستين جملا احمل عليها كتب اللغة التي عندي — ولكثرة كتب اللغة قال صاحب القاموس منوها بشأنه : وكتابي هذا صريح ألفي مصنف من الكتب الفاخره وسنيح ألفي قلمس من العيالم الزاخره — ومن اراد الزيادة فليرجع الى كتب طبقات اللغويين

(٢) العوارض جمع عارض وهو المانع يقال عرض لفلان في طريقه عارض أى مانع من جبل ونحوه يمنعه من المضى فيه — والأعلام جمع علم بفتحتين وهو الجبل والعلامة والأثر والمنارة — ومن المجاز قولهم فلان من أعلام العلم وأعلام الدين — والشم جمع أشم يقال جبل أشم اى طويل الرأس ورجل اشم اى كريم أبيّ وصله من

اهمال لغتهم يكونون كالعجم [١] بل جعل بعض الأغمار أمرها غير أَمَم — وعدّ الاشتغال بها ضربا من اللَّمَم [٢] وحال ما لا يحصى من الاحوال على هذا البلبال — ثم حالت تلك الحال —

الشمم وهو ارتفاع قصبة الأنف فاستعير للأنفة والاباء

(١) نجم الشيء ظهر وطلع — والفقرة الثانية تحتمل معنيين احدهما انهم بسبب اهمال لغتهم كادوا يكونون كالعجم في عدم معرفة اللغة العربية * وثانيهما انهم كادوا يصيرون كالعجم في عدم الاعتناء بلغتهم

(٢) الاغمار جمع غمر بوزن قفل وهو الذي لم يجرب الامور — والامم بفتحتين القرب واليسير والبين من الامر — تقول أخذت ذلك من أمم أى من قرب — وما سألت الا أمما اي شيئاً هينا قريبا — والضرب الصنف من الاشياء — والَّلمم بفتحتين مقاربة الذنب وقيل هو الصغائر من الذنوب — واللمم أيضا طرف من الجنون

قال الامام جمال الدين محمد بن مكرم بن أبي الحسن الانصاري الافريقي نزيل مصر فى كتابه المسمى بلسان العرب بعد ان ذكر تنافس أهل عصره في اللغة الاعجمية وعدهم من المثالب النطق بالعربية: فجمعت هذا الكتاب فى زمن أهله بغير لغته يفخرون وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون — وكان مولده سنة ٦٣٠ وتوفي سنة ٧١١

وأتى ما لا يخطر بالبال (١) — فقيض الله لها نفوساً سامية أشرفت عليها فعرفت قدرها السامي . — وسمت اليها — فرأت لها من المحاسن ما به تحكي العرب التي تجل عن المسامي (٢) فشرعوا في تجديد معاهدها — وتشييد قواعدها

---

(١) حال عليه الحول مر عليه — والحول العام وجمعه احوال —. والحال ما عليه الشيء والوقت الذي أنت فيه وهو مما يذكر ويؤنث وجمعه أحوال وحالات —.

والبلبال بالفتح كالبلبلة اختلاط الألسنة وتفريق الآراء وشدة الهم والوساوس — والبلبال بالكسر المصدر — وبلبلهم بلبالا هيجهم وحركهم والاسم البلبال بالفتح — والبال القلب

(٢) قيض الله فلانا لفلان جاءه به واتاحه له — وسما الشيء علا وارتفع — وسمت نفسه الى معالي الامور طمحت اليها ووقفت آمالها عليها —. وأشرف على الشيء اطلع عليه . — وحكيت عنه الكلام حكاية نقلته عنه والحكاية أيضاً اللغة — وحكيته وحاكيته فعلت مثل فعله وهيئته — والمحاكاة المشابهة وهو مجاز تقول فلان يحكي الشمس حسنا ويحاكيها . — والعرب بضمتين وتسكن راؤه تخفيفا جمع عروب وهي المرأة المتحببة الى بعلها والعرب بوزن قفل لغة في العرب ويجمع العرب على أعرب مثل زمن وازمن وعلى عرب بضمتين مثل أسد

وإماطةِ الأَذَى عن شوارعِها — وازالة القَذَى عن مَشارعِها[١] ليكونَ الناسُ شَرَعاً في وِردها السائغ — وظلّها السابغ[٢] — وإن اختلفت مَشارِبُهم — وتباينت أسرابُهم

وأسد . — والمسامي المطاول يقال فلان يسامي فلانا ويساجله وفلان لا يسامى وقد علا مَنْ ساماه — وتساموا تباروا

(١) شرع في الشيء شروعا أخذ فيه — والشوارع جمع شارع وهو الطريق الاعظم الذي يسلك الناس فيه عامة —. والمشارع جمع مشرعة وهي المورد ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عدًّا لا انقطاع له كماء الأنهار ويكون ظاهرا معينا —. وماط الشيء واماطه نحاه — ومنه اماطة الأذى عن الطريق وهو تنحية ما يؤذي فيها كالشوك والحجر ونحو ذلك .— والقذى ما يقع في العين والشراب من تراب أو تبن — وما أشبه ذلك

(٢) يقال الناس في هذا الامر شرع أي سواء وهو بفتحتين ويسكن تخفيفا —. وساغ الشراب سوغا سهل مدخله في الحلق — وساغ له مافعل جاز له ذلك — والورد بالكسر اسم للماء الذي يورد وللوراد وهم الذين يردون الماء — واسم للورود وهو خلاف الصدر .— والسابغ الكامل الوافي يقال ثوب سابغ ودرع سابغة — وسبغت عليه النعمة اتسعت وأسبغها الله اتمها

وَمسارِبهم [١] وقرّروا دَرسَها في المدارس — وأحْيَوْا من كُتبها ما كان كالرسم الدارس — فهبّت ريحُها — وأضاءت مَصابيحُها . وكاد يعود لها رونقها الأوّل — وخفت من كان يقول : وهل عند رسم دارس من معوَّل [٢] ولمّا كُنتُ خليلاً لها أَحببتُ أنْ

---

(١) الأسراب جمع سرب — والسرب بكسر فسكون الجماعة من الظباء والقطا والشاء وغيرها والطريق والنفس ومنه من أصبح آمنا في سربه اي في نفسه وقيل السرب هنا الاهل وهو مستعار من سرب الظباء والقطا يقال مر به سرب وأسراب ويروى بفتح السين أي في منقلبه ومتصرفه — والسرب بفتحتين بيت في الارض لا منفذ له تقول اتخذ سربا وأسرابا ونفقا وأنفاقا — وسرب في الارض سروبا ذهب فيها يقال هو يسرب النهار كله في حوائجه — وفلان بعيد السربة أي المذهب — وللوحش والنعم والنحل مسارب ومسارح

(٢) يقال له رونق أى حسن وبهاء — ورونق الشباب طراءته — ورونق السيف ماؤه وفرنده . وخفت الصوت خفوتا سكن — وخفت الرجل سكت فلم يتكلم — وخفت الزرع ونحوه مات —. والرسم الاثر — والجمع رسوم وأرسم — ودرس المنزل دروسا عفا وخفيت آثاره — ودرس الكتاب عتق —. وعول على الشيء اعتمد عليه ووثق به

أُبْديَ أَمارةً من أَمارات الخُلة ـ شفاءً لما فى النفس من الغُلة (١) فأَلَّفت هذا الكتاب ـ على وجه يروق أُولى الألباب . فذكرتُ فيه الفاظَ الكتابِ العزيز ـ وما يتلوه من كتبِ الحديث والأَثر (٢) وضممت الى ذلك ما لا بُدَّ للأَديب من معرفته

---

(١) الامارة بالفتح العلامة وبالكسر الولاية ـ والخلة بالضم الصداقة ـ والخلة بالفتح الفقر والحاجة ـ والخليل الصديق والجمع اخلاء وخلان ـ والغلة بالضم حرارة العطش والجوف وكذلك الغليل

(٢) قال بعض علماء الأثر : الخبر عند علماء هذا الفن مرادف للحديث سواء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصحابى أو التابعي من قول أو فعل أو تقرير ـ والأثر مرادف لهما وقيل الأثر مخصوص بالصحابي فمن دونه والحديث بالنبي صلى الله عليه وسلم والخبر أعم منهما ـ وهذا التفريق للمتأخرين من الفقهاء ـ وقال بعضهم الحديث يطلق على المرفوع والموقوف والمقطوع ـ (فالمرفوع) ما أضيف الى النبي عليه الصلاة والسلام خاصة لا يقع مطلقه على غيره متصلا كان أو منقطعا

والموقوف هو ما أضيف الى الصحابة قولا لهم أو فعلا متصلا كان أو منقطعا ـ ويستعمل فى غيرهم مقيدا فيقال وقفه فلان على الزهرى مثلا ـ وفقهاء خراسان تسمى الموقوف بالأثر والمرفوع بالخبر والمحدثون

وقد أوردت فيه كثيرا من الشواهد والأمثال (١) لتبق

يسمون جميع ذلك أثرا

والمقطوع هو ما أضيف الى التابعي قولا له أو فعلا

(تنبيه) لا يسوغ الاستشهاد على حكم من الاحكام بالأحاديث المذكورة في كتب اللغة ما لم يبحث عنها في كتب الحديث ويثبت صحتها وذلك لكثرة ما وقع فيها من الاحاديث التي لم تصح عند أئمة الحديث وأخف ما وقع لهم اطلاق الحديث على الموقوف وفي ذلك من الايهام ما لا يخفى على اولى الأفهام

(١) قال أهل العربية الشاهد ما يؤتى به لاثبات القواعد النحوية أو الالفاظ اللغوية أو ما أشبه ذلك من كلام الله تعالى او حديث النبي عليه السلام أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم — وقد اختلف في الاستدلال بالحديث لما ذكره الجلال السيوطي في الاقتراح قال وأما كلامه صلى الله عليه وسلم فيستدل منه بما ثبت انه قاله على اللفظ المروي وذلك نادر جدا وانما يوجد في الاحاديث القصار على قلة أيضا فان غالب الاحاديث مروي بالمعنى وقد تداولها الاعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدت اليه عبارتهم فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظا بألفاظ ولهذا نرى الحديث الواحد في القصة الواحدة مرويا على أوجه شتى بعبارات مختلفة ومن ثم أنكر على ابن مالك اثباته القواعد النحوية بالالفاظ الواردة في الحديث ثم نقل عن ابي

الـكلماتُ ممثَّـلةً في النفس وهي سالمـةُ المَبنى واضحةُ المعـنى — وليقف على منهاج البلغاء في تأليف الـكلام من أرادَ أنْ ينجوَ نحوَهم . (١) وقد اجتنبتُ فيـه غريب اللغة ووحشيها الاّ ان يدعو الى ذلك داعٍ (٢) ولم آلُ

الحسن بن الضائع انه قال في شرح الجمـل تجويز الرواية بالمعني هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على اثبات اللغة بالحديث واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لـكان الاولى في اثبـات فصيح اللغة كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أفصح العرب

(١) انذكر الـكلمة مقرونة بالشاهد من أسباب رسوخها في النفس وبعدها عن اللبس وقد اعتنى المتقدمون بذكر الشواهد وأكثرها من النظم وبعضهـا من ضروب الامثال وما جرى مجراها وفائدتهـا اثبات الـكلمة وبيان بعض مواقعها والتوقيف على منهاج العرب في تأليف الـكلام — وبهذا يعرف التقصير في قول القائل انمـا احتيج الى الشاهـد لاثبات الـكلمة فاذا ثبتت بالشاهد استغنينا عنه فيما بعد

(٢) وحشى اللغة وحوشيها الغريب المشكل منها وهو الذى يخفى معناه على اكثر من يسمعه ويحتاج الطالب له الى ان ينقب عنه في كتب اللغة المبسوطة لعله يعثر عليه فيها — وغرابة الـكلمة ممـا

يخرجها عن دائرة الفصاحة الآن لا يقوم مقامها غيرها وفى الغريب مباحث لا يحتملها هذا الموضع والدواعى لذكر شىء من غريب اللغة فى مثل هذا الكتاب مختلفة كثيرة — فمنها ان تكون الحاجة فى ذلك الزمان أو المكان قد دعت اليه — فبها يصير الغريب كانه غير غريب وبفقدها يصير غير الغريب كانه غريب

ومنها ان يكون ذلك الغريب قد ورد فى مثل أو قصة غريبة أو ذكره علماء الصرف أو اللغة شاهداً لشىء مما لا يسع الاديب جهله وفى كتب اللغة المتداولة كثير من الكلمات الغريبة قد اتخذت ميزانا لغيرها فيضطر اليها لا لذاتها بل لمعرفة ما وزن بها فاذا ذكر ضبطها لزم بيان معناها بطريق العرض اذلا يسوغ للطالب ان يزن الكلمات المحتاج اليها بكلمة لا يعرف معناها وان عرف مبناها وذلك كقمرد وجمزى وزبرج قال الخليل لا يصل أحد من الناس الى ما يحتاج اليه من العلم الا بتعلم ما لا يحتاج اليه فقال بعض الواعين لهذه الحكمة الباهرة ان كان لا يوصل الى ما يحتاج اليه الا بما لا يحتاج اليه فقد صار ما لا يحتاج اليه محتاجا اليه

ومنها ان تذكر الكلمة الغريبة للاشارة الى انها نشأت عن غيرها بطريق القلب او الابدال أو نحو ذلك ومثل هذا لا يحتاج فيه الى اسهاب يخرج به صدر من لا يحتاج الى ذلك ومثل هذه النكتة

عن الوهم[١] مع رعاية حسن النسق بايراد كل شيء في أحسن مواضعه بقدر الامكان[٢] غير أني لم أتعد أقوال الأئمة

قد ذكرت كلمات من الغريب للاشارة الى ان مادتها موجودة في اللغة العربية مع عدم الاسهاب فيها

(١) الجهد الوسع والطاقة وهو بالضم في لغة الحجاز وبالفتح في لغة غيرهم — وقرئ بهما قوله تعالى والذين لا يجدون الا جهدهم — وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة . — والجهد مصدر جهد في الامر من باب نفع اذا طاب حتى بلغ غايته في الطاب وهو بالفتح ليس غير وألا — قصّر تقول فلان لا يألوك نصحا اي لا يقصر في النصح — توخى الشيء نحاه وطابه

(٢) النَّسق بالسكون مصدر نسق الكلام اذا عطف بعضه على بعض ونسق الدر اذا نظمه والتنسيق التنظيم — • والنسق بفتحتين المنسوق يقال در نسق ومنسوق ومنسق اذا كان منظما — • ومن المجاز ثغر نسق اذا كانت اسنانه مستوية — وكلام نسق اذا جاء على نظام واحد — وحسن النسق مما يطاب في كتب اللغة وغيرها من الفنون لعظم فائدته — واكثر من ألفوا في أول الامر لم يلتزموه لانصراف هممهم الى المقصد الاول وهو امر الجمع — فهم معذورون في ذلك واما من بعدهم فلا يعذرون لأنهم قد كفوا مؤنة الجمع فيجب عليهم رعاية حسن الوضع — ولما ذكر ابن سيده ان من مزايا

الذين يعوّل في اللغة عليهم (١) وقد فرّقت فيه بين الفصيح

كتابه المخصص الموضوع على الأبواب رعاية حسن الوضع قال وانما أنبأت بحسنه من قبل وضعه لأنه باب من العلم عظيم — ونوع منه جسيم فينبغي أن يعنى به ويرتاض فان المهارة به والوقوف عليه كثير الغناء في العلم بالتأليف كما أن اغفاله والجهل به عظيم المضرة في ذلك — وهنا أمر مهم وهو أن كثيرا من الكلم يتجاذبها مواضع يناسبها كل واحد منها من وجه وهنالك الحيرة ولا مخلص من ذلك الا بترجيح أحد المواضع بوجه من وجوه الترجيح التي تظهر للمؤلف اذ لا طريق هنا للوقف

(١) عدا الشيء وتعداه تجاوزه الى غيره قال تعالى (ومن يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظالمون) وقد اشار بهذه العبارة الى أنه لا يسوغ التصرف في عبارات أئمة اللغة لما فيه من الخطر وقد فعل ذلك بعض من ألف في اللغة فتصرف في عباراتهم قاصدا جمع المواد الكثيرة في الألفاظ اليسيرة لينسخ بكتابه كتاب الصحاح فصار كتابه بما فيه من فرط الايجاز كأنه من كتب الالغاز مع ما فيه من خلط الفصيح بغيره وغير ذلك مما زاد النبهاء رغبة في الصحاح وقد قال فيه بعض النقاد جرت عادته في هذا الكتاب غالبا أن يفسر المادة بعبارة يخترعها من عنده وصاحب الصحاح يأتي بها بالعربيّ الفصيح ولا يخفى أن التصرف في اللغة غير معهود ولا يخلو غالبا من عدم المساواة لا سيما اذا كان المفسر غير عربي خالص

والافصح — ليأخذ الناظر في نفسه بما هو الأرجح (١) ويدع

---

(١) ينقسم ما روي من اللغة الى صحيح وغير صحيح وينقسم الصحيح الى فصيح وغير فصيح

وقد بين علماء اللغة كل ذلك فى كتبهم بحيث يعرف منها الصحيح من غير الصحيح والفصيح من غير الفصيح — وقد أهمل ذلك بعض من ألف فيها فوقع الالتباس لكثير من الناس غير أن الراغب فى التمييز لا يعدم مرشدا يرشده الى ما أراد من ذلك . .

والفصاحة في الكلمة هو أن تكون على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدور واستعمالهم لها أكثر قال الزبيدي فى طبقات النحويين قال ابن نوفل سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء أخبرنى عما وضعت مما سميت عربية أيدخل فيه كلام العرب كله فقال لا فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة فقال أحمل على الأكثر واسمي ما خالفني لغات وقد أبان ثعلب فى أول كتابه المسمى بالفصيح على ان مدار الفصاحة على كثرة استعمال العرب للكلمة قال هذا كتاب اختيار الفصيح مما يجري في كلام الناس وكتبهم فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها فاخبرنا بصواب ذلك

ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفصحهن

ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن احداهما أكثر من الأخرى فأخبرنا بهما اه واذا تفاوتت رتب الفصيح قيل فصيح

غيره في دعه - حيث كان في الأمر سعه - وأرجو ان يكون هذا الكتاب على ما فيه من الإجمال - كافيا فيما قصدت اليه من

وأفصح مثاله قول صاحب ديوان الادب الحبر العالم وهو بالكسر أفصح لانه يجمع على أفعال والفعل يجمع على فعول — ويقال هذا ملك يميني وهو أفصح من الكسر وأفصح العرب قريش وأفصح الكلام ما ورد في الكتاب العزيز قال ابن خالويه في شرح الفصيح قد أجمع الناس جميعا أن اللغة اذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لا خلاف في ذلك • — ذكر الجلال السيوطي في الأتقان نقلا عن بعض الشيوخ انه قال أنزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم أبيح للعرب ان يقرؤه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والاعراب ولم يكلف أحد منهم الانتقال عن لغته الى لغة أخرى للمشقة ولما كان فيهم من الحمية ولطلب تسهيل فهم المراد • — قال بعض العلماء كان ذلك رخصة في أول الامر ثم نسخ ذلك بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ • تنبيه اذا قرأت كلمة من كلمات الكتاب العزيز بوجهين فأكثر وكان ذلك ثابتا عن الأئمة الذين يرجع اليهم في ذلك عد ذلك كله فصيحا ولا يسوغ ترجيح أحد الوجهين أو الأوجه على غيره ترجيحا يكاد يسقط الآخر قال أبو جعفر النحاس السلامة عند أهل الدين اذا صحت القراءتان أن لا يقال أن أحداهما أجود

غير اخلال (١) فإني غصتُ لِأَجله في قاموس لسان العرب لاسعاف من لهم في التحلّي به أرب (٢) فأجلت النظر في جواهره المختلفة الأوضاح — ثمَّ استخرجت لهم من مختار صحاح مفرداتها ماهو مزهر كالمصباح (٣) ليبنيَ على اساس البلاغة وهو في نهاية

---

(١) أجمل الكلام وأجمل في الكلام لم يفصّله — وأجمل في الطلب رفق • والمراد بالإجمال هنا الاختصار والايجاز قال ابن فارس في أوّل المجمل أنشأت كتابي هذا بمختصر من الكلام يقل لفظه وتكثر فوائده — ويبلغ بك طرفاً مما أنت ملتمسه — فإني أجملت فيه الكلام اجمالا ولم أكثره بالشواهد والتصاريف ارادة الايجاز — والخلل في الشيء الفساد فيه وهو مأخوذ من الخلل الذي هو الفرجة بين الشيئين • — وأخلّ بالشيء تركه ذا خلل — واخلّ به قصر فيه

(٢) الغوص النزول تحت الماء لاخراج شيء منه — ويقال لكل من هجم على شيء غامض فأخرجه غائص — والغواص الذي يكثر من ذلك • والقمس الغوص وقمسته في الماء فانقمس غمسته فانغمس — وتقول فلان يقامس حوتا اذا ناظر من هو أعلم منه — وقاموس البحر وسطه ومعظمه وأبعد موضع فيه غورا — ويقال بحر قامّس بتشديد الميم أي زاخر •

(٣) الأوضاح جمع وضح بفتحتين وهو الضوء والبياض • —

الاحكام من يريد منهم اصلاح المنطق وتهذيب الكلام • وليس

لي فيه مع الجمع — غير الوضع — على وجه يلائم الطبع

فان راقك ما فيه فاشكر لمن تقدم وقل سلام على من لم

يغادر فيها من متردم [١] وان رأيت فيه ما راعك من خلل لا يمكن

وزهرت النار والشمس أضاءت ويعدى بالهمزة فيقال أزهرت النار وأزهرت السراج ويقال أزهر النبت إذا ظهر زهره وزهر يزهر بفتحتين لغة فيه — وفي هاتين الفقرتين وما بعدها ايماء الى كتب متداولة في علم اللغة قد عظم انتفاع الناس بها • — أجزل الله سبحانه الثواب لمؤلفيها ولمن اقتفى آثارهم في خدمة هذه اللغة فضلا منه

(١) المغادرة الترك يقال غدرت الشيء اذا تركته — وسمي الغدير غديرا لأن السيل غادره أي تركه • — وردم الثلمة ردما سدها — وردم الثوب وردّمه رقعه — وتردم الثوب أخلق واسترقع فهو متردم — والمتردَّم الموضع الذي يرقع قال عنترة

هل غادر الشعراء من متردَّم * أم هل عرفت الدار بعد توهم

يريد أن الشعراء لم يبقوا لاحد معنى الا وقد سبقوا اليه — فلا يتهيأ لاحد أن يصلح معنى لم يسبق اليه — ثم انصرف عن ذلك فقال أم هل عرفت • • • اي بل عرفت —

حمله على غير الخطل[١] فنبه بلطف عليه وأشر من غير أشر اليه[٢] صيانة للسان من الزلل — فان أمره جلل[٣] ورتبته على حروف المعجم معتبرا فيه أوائل الكلم[٤]

(وأسأل الله التوفيق لما يرضى من قول وعمل)

---

(١) راعه الشيء روعا أفزعه — . وخطل في كلامه ورأيه خطلا اخطأ فيه وهو من باب تعب (٢) نبهه على الشيء تنبيها وقفه عليه فتنبه هو عليه — واللطف في العمل الرفق فيه . والأشر شدة البطر — والبطر الطغيان عند النعمة وقلة القيام بحقها

(٣) زل في منطقه أو فعله يزل بالكسر اخطأ — والجلل الامر العظيم — والجلل أيضا الهين اليسير وهو من الأضداد

(٤) اعلم أن كتب اللغة نوعان أحدهما ينتقل فيه من جانب اللفظ الى المعنى — والآخر ينتقل فيه من جانب المعنى الى اللفظ

فالنوع الاول منهما موضوع لمن شعر باللفظ كمن سمع لفظ الشفق أو رآه في كتاب ولكن جهل معناه أو هيئة مبناه والكتب في هذا النوع لا تحصى — وهي مرتبة على حسب المباني ليتيسر للطالب ان يجد الكلمة في الموضع المعقود لذلك المبنى ليقف فيه على المعنى

والنوع الثانى منهما موضوع لمن شعر بالمعنى كمن رأى الشفق في السماء ولكن جهل اللفظ الدال عليه — والكتب في هذا النوع

قليلة لقلة عناية غير الخواص بها وهي مرتبة على حسب المعاني —.
وقد ألف فيه ابن سيده كتابا جامعا لا نظير له سماه المخصص كما
ألف في النوع الأول كتابا كذلك سماه المحكم .— وقد رتبه على
على كتب كثيرة جعل الأول منها في الانسان وذكر فيه جميع ما يتعلق به
من خلق وخلق ونحو ذلك وجعل لكل نوع من ذلك عنوانا يدل عليه
ليرجع الباحث عن الكلمة المجهولة التي يبتغيها من ذلك النوع اليه .—
والذين ألفوا في النوع الأول قد سلكوا في ترتيب كتبهم طرائق شتى
(الطريقة الأولى) طريقة الإمام الأوحد الخليل بن أحمد
في كتاب العين وهو أول كتاب ألف في اللغة وسمي بذلك لابتدائه
بحرف العين فانه رتب كتابه على الحروف وهي مسوقة على هذا الترتيب

ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط
د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و أ ي

ولا إشكال في كتابه من جهة هذا الترتيب وان خالف ما ألفه
الجمهور في ترتيب حروف المعجم الا ترى ان حروف المعجم قد
اختلف في ترتيبها المشارقة والمغاربة ولم يعق ذلك أحد الفريقين عن
الانتفاع بكتب الفريق الآخر فيما رتب على حروف المعجم كما لم يعقهما
عن الانتفاع بالكتب التي رتبت على نسق أبي جاد

وانما أتى الاشكال فيه من جهة أخرى وهي انه يذكر الكلمة
وما ينشأ عنها بالقلب في موضع واحد فيذكر الضرم في حرف الضاد
ويتبعها بذكر الضمر ثم الرضم ثم المضر ثم الرمض ثم المرض فان أهمل

شيء من أنواع القلب أشار الى اهماله وزاد على ذلك انه ذكر كل نوع من الصحيح والمضاعف والمهموز والمعتل على حده ليمتاز كل نوع عن غيره وقد جرى على طريقته بعض اللغويين ومنهم الازهري وابن سيده ولصعوبة هذه الطريقة على الجمهور الذين ليس لهم مأرب في غير معرفة أبنية الكلام ومعانيها قال صاحب لسان العرب ولم أجد في كتب اللغة أجل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الازهري ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن على بن اسمعيل بن سيده الاندلسي رحمهما الله فانهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق — وما عداهما بالنسبة اليهما بنيات الطريق غير أن كلا منهما مطلب عسر المدرك ومنهل وعر المسلك —• وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا وحلاهم عنه — وارتاد لهم مرتعا مربعا ومنعهم منه •— قد أخر وقدم — وقصد أن يعرب فأعجم • فرق الذهن بين الثنائي المضاعف والمقلوب وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعي والخماسي فضاع المطلوب • فأهمل الناس أمرهما — وانصرفوا عنهما — وكادت البلاد لعدم الاقبال عليهما ان تخلو منهما •— وليس لذلك سبب الا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب ثم ذكر صحاح الجوهري ونوه بحسن ترتيبه وجري عليه •— واعلم ان طريقة الخليل لها موقع عند الذين يرون أن الكلمات التي تشترك في الحروف وان اختلفت في الترتيب لابد ان يكون لها معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها وذلك مثل كلم وكمل ومكل وملك ولكم ولمك — فان لها معنى يجمع بينها وهو القوة والشدة

(الطريقة الثانية) طريقة الجوهري صاحب الصحاح فانه رتب كتابه على حروف المعجم على النسق المعروف في المشرق غير أنه جعل الآخر للباب والأول للفصل فكل كلمة يكون آخرها الفا مثل بدا يذكرها في الباب الاول وهو باب الألف ويسميها بالألف المهموزة احترازا عن الالف اللينة التي هي أحد حروف المد وكل كلمة يكون آخرها باء مثل أب يذكرها في الباب الثاني وهو باب الباء ولم يزل يجري على هذا الترتيب حتى وصل الى الحرف الاخير وهو حرف الياء وقد جعل كل باب ثمانية وعشرين فصلا جعل الفصل الاول منها لما يكون أوله همزة والفصل الثاني لما يكون أوله باء الى ان وصل الى الآخر غير ان بعض الابواب قد تكون فصولها أقل من ثمانية وعشرين وهو الاكثر كباب الزاء فانه لا يوجد فيه فصل اللام لعدم وجود كلمة في العربية أولها لام وآخرها راء وأقل الابواب فصولا باب الظاء فانّ فصوله ستة عشر اذا عرفت هذا تعرف ان مثل برى وبغى يذكر في فصل الباء من باب الياء وذلك في آخر الكتاب وان مثل برء وبطء يذكر في فصل الباء من باب الالف وذلك في أول الكتاب

وقد جرت عادته في الفصل ان يراعي ما بعد الاول في الترتيب فيقدم ـأر على سير وهي على ستر ويقدم خردل على خزعل وعبقر على عبهر وقد أشار الجوهريّ الى طريقته في خطبة الصحاح فقال الحمد لله شكرا على نواله — والصلاة على محمد وآله . — اما بعدُ فاني قد أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة التي شرّف الله

تعالى منزلتها — وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها • — على ترتيب لم أسبق اليه — وتهذيب لم أغلب عليه — في ثمانية وعشرين بابا وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا على عدد حروف المعجم وترتيبها الآن يهمل من الأبواب جنس من الفصول — • بعد تحصيلها بالعراق رواية — واتقانها دراية — ومشافهتي بها العرب العاربة فى ديارهم بالبادية — • ولم آل في ذلك نصحا — ولا ادخرت وسعا • — نفعنا الله وإياكم به • اه

وعلى طريقته سلك الامام رضي الدين الحسن الصغاني في العباب والتكملة والامام جمال الدين فى لسان العرب

(الطريقة الثالثة) طريقة الجمهور وقد رتب السالكون عليها كتبهم على حروف المعجم معتبرين فيها أوائل الكلم فيذكرون فى الباب الاول وهو باب الالف ويراد بها هنا الهمزة كل كلمة فى أولها ألف مثل أب وألو وأبى — وفي الباب الثاني وهو باب الباء كل كلمة في أولها باء مثل بر وبري ولا يزالون على هذا النهج الى أن يصلوا الى النهاية وهي باب الياء وقد جعلوا كأصحاب الطريقة الجوهرية في كل باب فصولا ناظرين فيها الى ثواني الكلم فيذكرون في الفصل الاول ما يكون ثانيه همزة وفي الثاني ما يكون ثانيه باء وفي الفصل الثالث ما يكون ثانيه تاء ولا يزالون على ذلك الى ان يصلوا الى النهاية

فالحرف الأول عند هؤلاء كالحرف الأخير عند الجوهري والحرف الثاني عندهم كالحرف الأول عنده فمثل أبى تذكر عندهم

في أول الكتاب في فصل الباء من كتاب الالف وتذكر عند الجوهري في آخر الكتاب في فصل الألف من كتاب الياء ويقدمون بعض كلمات الفصل على بعض بالنظر الى ما بعد الحرف الثاني فيذكرون برج مثلا قبل برح — وبرخ قبل برزخ وعندل قبل عندم وسندس قبل سدس وعلى هذه الطريقة جرى ابن فارس في المجمل والهروي في الغريبين والراغب الأصفهاني في المفردات والزمخشري في اساس البلاغة وابن الأثير في النهاية قال صاحب المجمل في أوله مبينا لسبب أمن قارئه التدبر له من التصحيف : وذلك أني خرجته على حروف المعجم وجعلت كل كلمة أولها همزة في كتاب الهمز وكل كلمة اولها باء في كتاب الباء حتى أتيت على الحروف كلها . فاذا احتجت الى كلمة نظرت الى اول حروفها فالتمستها في الكتاب الموسوم بذلك الحرف فانك تجدها مصورة في الحاشية ومفسرة من بعد وقد تسمى الالف ههنا همزة .

وقال صاحب الغريبين في كتابه : وهو موضوع على نسق الحروف المعجمة نبدأ بالهمزة فنفيض بها على سائر الحروف حرفاً حرفاً ونعمل لكل حرف باباً ونفتتح كل باب بالحرف الذي يكون أوله الهمزة ثم الباء ثم التاء الى آخر الحروف الآ ان لا نجده فنتعداه الى ما نجده على الترتيب فيه ثم نأخذ في كتاب الباء على هذا العمل الى ان ننتهي بالحروف كلها الى آخرها ليصير المفتش عن الحرف الى اصابته من الكتاب أهون سعي وأخف طلب وقد جعل بعض المؤلفين بدل

قولهم باب كذا قوله كتاب كذا — وبدل قولهم فصل كذا قوله باب كذا وربما ترك بعضهم ذكر لفظ الفصل في العنوان واكتفى بقوله الالف مع الباء مثلا — والخطب في ذلك سهل

هذا ويجب على من اراد البحث عن كلمة في كتب اللغة ان يجردها اولا من الزوائد ان كان فيها زائد ويعيدها الى أصلها الاول ان عراها تغيير ثم يبحث عن الموضع الذى هو مظنة ان توجد فيه فيراجع أقبل وتقبل واستقبل في قبل — وائمد في ثمد — ومنسأة في نسأ ومبراة في بري وهبة في وهب وسعة في وسع وهدى في هدى واب في أبو وابن في بنو ويد في يدي — ومعرفة الحرف الزائد والاصل الاول وان توقف على معرفة علم الصرف الاّ انّ اناسا عرفوا ذلك بالممارسة وقد مرّن بعض المعلمين في مدارس المبتدئين تلاميذهم على ذلك فصاروا في اقلّ مدة يراجعون ما يورد عليهم من الكلمات في كتب اللغة بدون تلكؤ وجرى لهم نحو ذلك في رسم الخط فتراهم يرسمون مثل علا بالالف وأعلى بالياء ومن عرف سرّ التعليم لم يستبعد أعظم من ذلك غير أن هنا شيأ وهو انّ بعض الكلمات قد اختلف فيها رأى اللغويين مثل هبلع وهو الأكول فانّ بعضهم يحكم بأنّ الهاء زائدة فيذكر في مادة بلع وبعضهم يحكم بأنها اصلية ومثل إبّان فانّ صاحب الصحاح ذكره في أبن بناء على ان النون فيه اصلية فيكون وزنه فعّالا وصاحب اساس البلاغة ذكره في اب بناء على انّ النون فيه زائدة كنون وجدان ونحوها فيكون وزنه فعلانا • —

وقد جرت عادة اللغويين أن يذكروه في الوضع الذي يترجح عندهم انه موضعه وبعضهم يذكره في أحد الوضعين ويذكر في الوضع الآخر انه قد مضى ذكره في كذا او سيأتي فيه وقد جرت عادة كثير من اللغويين الذين يحبون التيسير على الناس أن يذكروه في الوضع الذي يظن في بادئ الرأي انه يذكر فيه وان كان ليس موضعه على مذهبه وقد جرى على ذلك الزمخشري في أساس البلاغة فانه قال فيه وقد رتب هذا الكتاب على أشهر ترتيب متداولا — وأسهله متناولا يهجم فيه الطالب على طلبته موضوعة على طرف الثمام وحبل الذراع — من غير أن يحتاج في التنقير عنها الى الايجاف والايضاع :— والى النظر فيما لا يوصل الا باعمال الفكر اليه وفيما دقق النظر فيه الخليل وسيبويه

وجرى على مثل ذلك المطرزي في المغرب فقال فيه وربما فسرت الشيء مع لفقه في موضع ليس بوقته لئلا ينقطع الكلام ويتضاع النظام كل ذلك تقريبا للبعيد — وتسهيلا على المستفيد

وممن جرى على ذلك مجد الدين المبارك ابن الاثير في النهاية في غريب الحديث والاثر فانه قال بعد أن ذكر كتاب الغريبين للهروي وكتاب أبي موسى الاصفهاني في استدراك مافات الهروي : وسلكت طريق الكتابين في الترتيب الذي اشتملا عليه والوضع الذي حوياه من التقفية على حروف المعجم بالتزام الحرف الاول والثاني من كل كلمة واتباعهما بالحرف الثالث منها على سياق الحروف الا أني وجدت

في الحديث كلمات كثيرة في أوائلها حروف زائدة قد بنيت الكلمة عليها حتى صارت كأنها من نفسها وكان يلتبس موضعها الاصلي على طالبها لاسيما وأكثر طلبة غريب الحديث لا يكادون يفرقون بين الاصلي والزائد فرأيت أن أثبتها في باب الحرف الذي هو فى أولها وان لم يكن أصليا — ونبهت عند ذكره على زيادته لئلا يراها أحد في غير بابها فيظن أني وضعتها فيه للجهل بها فلا أنسب الى ذلك ولا أكون قد عرّضت الواقف عليها للغيبة وسوء الظن ومع هذا فانّ العيب في القول والفعل قليل بل عديم ومن الذي يأمن الغلط والسهو والزلل — نسأل الله العصمة والتوفيق

وقد أكثر صاحب القاموس من تعقب الجوهري فى مواضع الكلم وذلك كقوله في زرج : والزرجون كقربوس شجر العنب أو قضبانها والخمر وماء المطر الصافى المستنقع في الصخرة — وذكره الجوهري في النون ووهم . — وكقوله لدى لغة فى لدن — واللدة كعدة الترب ج لدات . . . هنا يذكر لافي ولد — وقد اشتدّ انكار العلماء على صاحب القاموس فى ذلك لما عرفت ان عادة كثير من اللغويين ان يذكروا الكلمة في الموضع الذي يظن ان الطالب يطلبها فيه — وانهم قد يذكرون الكلمة مع لفقها في موضع ليس بوفقها تسهيلا عليه مع ان أكثر ما انتقده عليه هو مذكور فى موضعه على أصول أئمة الصرف الذين كان الجوهري يعدّ منهم غير انهم أفرطوا في ذلك حتى كادوا ان لايقيموا لاعتراض من اعتراضاته وزنا مع ان من كثر خطؤه

يمكن ان يخطئ الخطأ ولو مرة — ولم يفده كونه من الجماعة وكون الجوهري من أهل الاعتزال لما ان أهل الأدب لا تؤثر فيهم غالبا هذه العصبية وعلى كل فليس لنا الا أن نشكر مسعى كل من خدم هذه اللغة على اي وجه كان أجزل الله ثوابهم وجعل الى دار السعادة مآبهم

واعلم ان طريقة الجوهري يؤمن فيها التصحيف في الاول والاخير البتة لدلالة الباب والفصل عليهما وفيما عداهما في الغالب لدلالة ماسبق أو ما يأتي على ذلك وحيث لم يؤمن التصحيف صرحوا بما يرفع الاشكال ولا يبقى مجالا للاحتمال كقول الجوهري الشبادع العقارب واحدتها شبدعة بالكسر والدال غير معجمة

وطريقة الجمهور يؤمن فيها التصحيف في الاول والثاني البتة وفيما عداهما في الغالب ويصرحون بما يرفع الاشكال في المواضع التي يكون له فيها مجال

فإن قلت اي الطريقتين ارجح قلت لا فرق بينهما في بادئ الرأى لأن الباحث يحتاج على كل حال الى تجريد الكلمة من الزوائد وارجاعها الى أصلها واذا تيسر له ذلك سهل عليه معرفة موضعها من كتب الفريقين واذا دقق النظر وجد طريقة الجمهور أسهل مسلكا وذلك لان طريقة الجوهري تتوقف على معرفة الآخر فاذا لم يعرف لم يمكن ان يعرف باب الكلمة ومعرفة الآخر أصعب من معرفة ما سواه غالبا فاذا اراد المبتدئ ان يبحث عن مثل ابان وبرهان وعرجون لم يدر هل النون فيها أصلية فيراجعها في باب النون ام زائدة فيراجعها

في غيره والحيرة في مثل هـذا اقل من الحيرة في مثل يد ودم وابن وأب وأخ مما حذف آخره وفي مثل خبأ وذرأ وبرأ مما يحتمل ان يكون مهموزا فيرجع فيه الى باب الهمزة في اول الكتاب او ناقصا فيرجع فيه الى باب الواو أوالياء في آخر الكتاب ولنذكر لك امثلة اخرى

فمن ذلك الجفاء بالضم وهو ما نفاه السيل فانه من جفأ الوادي اذا رمى بالقذى والزبد فانه يذكر في باب الهمز — .واما الجفاء بالفتح وهو خلاف الصلة فانه يذكر في باب الواو لأنه مصدر جفوته اذا هجرته

ومن ذلك الداء والدواء فان الداء يذكر في باب الهمز لأنه من ذوات الهمزة ويجمع على ادواء — والدواء يذكر في باب الياء لأنه من ذوات الياء ويجمع على أدوية وأما الكتب الموضوعة للجمهور فان مثل برا وبرأ — وذرا وذرأ وجفاء وجفاء — يذكر فى باب واحد في فصل واحد نعم قد يقع الاشكال في الأول في مثل ابن واثنين واصبع فان الهمزة فيها زائدة غير أنّ الاشكال فيه اقلّ

والظاهر انّ الذى دعا الجوهريّ الى المسلك الذي سلكه مع انه أصعب من المسلك الآخر هو رعاية جانب أهل الأدب فانه اذا جمعت الكلمات المتحدة الأواخر في باب تيسر لهم ان يقصدوه لمعرفة الكلم التي على رويّ واحد من غير مشقة ونصب وذلك من المهمات في النظم والنثر الذي ينحى به منحاه وقد جرت عادة كثير من

الشعراء ان يعدّوا القوافي قبل النظم — وأكثر ما يشكل في الشعر من الكلم في الاكثر الكلم التي ترد في القوافي ولا يخفى ان للقوافي شأنا غير شان غيرها حتى تغاضوا فيها عن ورود الغريب الذي لم يتجاوز الحدّ في الغرابة لمكان الاضطرار اليها ويكفيك ما شاع من قول الناس هذا مما جرّته القافية ويذكر انّ بعض أهل الادب عمل ابياتا في وصف مدامة شربها وذكر فيها انها جعلته في الحيّ يحكى فلان بن فلان فسمع بذلك المهجوّ فقال له لم هجوتني وانا من اصدقائك فقال لانك قعدت على طريق القافية

وقد رأيت كتابا كبيرا في اللغة العربية رتّبه صاحبه على القوافي الاّ انه فسر الكلمات فيه بالفارسية لافادة الفرس

واذ عرفت ما اختصت به الطريقة الجوهرية فانذكر لك ما اختصت به الطريقة الجمهورية وهي جمع الكلمات المتقاربة في اللفظ والمعنى في فصل واحد — وذلك انه قد ثبت عند علماء الاشتقاق ان التقارب بين اللفظين يدل على التقارب بين المعنيين نحو قسم وقصم وقدر وقتر — مما اتفق فيه الاول والثالث واختلف فيه الوسط ونحو صعد وسعد وقضم وخضم مما اتفق فيه الثاني والثالث واختلف الاول ونحو أبد وأبق — وبتر وبتك مما اتفق فيه الاول والثاني واختلف فيه الثالث قال بعضهم في هذا النوع وهو الذي يجمع في طريقة الجمهور في فصل واحد اذا أمعنت نظرك في التراكيب اللغوية وجدت بين كل كلمتين اتفقتا في الفاء والعين اتصالا فان تقارب اللاّمان في المخرج كان

التقارب بين المعنيين أشدّ وان تباعدا كان التباعد بين المعنيين بقدر ذلك واما أصل الاتصال فلا بدّ منه يظهر ذلك عند امعان النظر وذلك المعنى هو الجهة الجامعة لهما وان خفيت —

وقد ظهر من البحث والنظر أنّ تركيب الهمزة مع الباء يدل على النفور والبعد والانفصال ويظهر ذلك في ابّ وأبد وأبق وابى ونحوها فان كل واحد منها لا يفارقه ذلك المعنى يقال أبّ اذا تهيأ للذهاب وابدت البهيمة اذا نفرت وتوحشت — وأبق العبد اذا هرب من سيده وأبى الرجل اذا امتنع — وان تركيب الهمزة مع الزاي يدل على الضيق والشدة ويظهر ذلك في أزّ وأزق وأزل وأزم ونحوها —

وأمثلة ذلك كثيرة وقد أوردوا ما يكفي للتدريب — وباقيه يحتاج الى من يثيره من مكامنه — وكأنّ القائلين بهذا القول يذهبون الى ان الاصل في هذا الباب هو حرفان وضعا لمعنى ثم زيد عليهما حرف آخر ليدل على معنى آخر يكون "بمنزلة النوع للمعنى الاول الذي هو" بمنزلة الجنس لانواع معاني الالفاظ التي نشأت عنه بازيادة — . وهذا بحسب الظاهر يخالف ما قرروه فانهم ذكروا ان ما كان على ثلاثة أحرف لا يحكم على حرف منه بالزيادة — وهذا كالمتفق عليه قال سيبويه في كتابه : وأما ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كل شيء من الاسماء والافعال وغيرهما مزيدا فيه وغير مزيد فيه وذلك لانه كأنه هو الاول فمن ثم تمكن في الكلام ثم ما كان على أربعة احرف بعده ثم بنات الخمسة وهي اقل لا تكون في الفعل البتة

ولا يكسر بتمامه للجمع لانها الغاية فى الكثرة فاستثقل ذلك فيها • — فالكلام على ثلاثة أحرف وأربعة احرف وخمسة لا زيادة فيها ولا نقصان ـ والخمسة اقل الثلاثة فى الكلام ـ فالثلاثة اكثر ما تبلغ بالزيادة سبعة أحرف وهى أقصى الغاية والمجهود وذلك نحو اشهيباب فهو يجري على ما بين الثلاثة والسبعة ـ والاربعة تبلغ هذا نحو احرنجام ولا تبلغ السبعة الا في هذين المصدرين • — واما بنات الخمسة فتبلغ بالزيادة ستة نحو عضرفوط ولا تبلغ سبعة كما بلغتها الثلاثة والاربعة لانها لا تكون في الفعل فيكون لها مصدر نحو هذا ـ فعلى هذا عدة حروف الكلم فما قصر عن الثلاثة فمحذوف وما جاوز الخمسة فمزيد فيه اه

وكأنّ علماء الصرف أجمعوا على أن الاسم المتمكّن والفعل لا يبنيان من أقل من ثلاثة أحرف — واحترزوا بالمتمكن عن غير المتمكن وهو المبنيّ فانه لمشابهته للحرف قد يبنى من اقل من ثلاثة أحرف كالحرف وذلك مثل من وهي فان وجد اسم متمكن على اقل من ثلاثة احرف كأب وأخ حكموا بأنه قد حذف منه شيء وأصلهما عندهم أبو وأخو — ويدل على ذلك انه يقال في تثنيتهما أبوان وأخوان — وقد استقرؤا الكلم فوجدوا ان الابنية الثلاثية أكثر مما سواها وحكموا بأنه اعدل الابنية وان الاصل في كل كلمة ان تكون على ثلاثة أحرف حرف يبتدأ به وحرف يوقف عليه وحرف يكون واسطة بينهما — •

اذا عرفت ما ذكرنا ربما عرض لك الاعراض عن القول السابق متعللاً بأن اجماع علماء الصرف حجة فانهم قد صرفوا اعمارهم في هذا الفن ووجهوا انظارهم الى دقائقه فاذا اتفقوا على شئ منه ولا داعي لهم على ذلك من رغبة او رهبة لم يكن ذلك الا لكونه صوابا اذ يعسر الحكم بخطئهم اجمعين بعد اعطائهم النظر حقه لكن اذا أمعنت النظر ربما ظهر لك أن ذلك القول ربما لم يكن مصادما للاجماع لان كثيرا من المسائل يختلف الحال فيها باختلاف الفن ألا ترى ان النحوي المنطقي يجزم بأن عبد الله اذا كان علما مفرد هذا اذا كان يبحث في في المنطق — لانه لا فرق بينه وبين زيد في كونه لا يدل جزء لفظه على جزء معناه فاذا كان يبحث في النحو يرجح كونه مركبا رعاية لجانب اللفظ فحكمه عنده حكم قولك انا عبدالله اذا لم يكن ذلك اسمك لوجود جزأين فيه قد أعرب كل واحد منهما باعراب — ولعلك تقول ان هذا ليس باستدلال بل هو من قبيل ايراد المثال وهو لا يزيل ما حاك في صدري من الاشكال فهل عندك اقرب من هذا الى الفهم وابعد منه عن الوهم . —

فاقول ان علماء الصرف انما يبحثون عن الكلمات باعتبار الزمن الاخير الذي وصلت اليهم فيه وحكمهم في ذلك صحيح لا مرية فيه — وعلماء سر اللغة انما يبحثون عنها باعتبار الزمان الاول وهو زمن ظهورها شيأ فشيأ وحكمهم في ذلك وان كان في الغالب بطريق الظن الاّ انه لا يصادم حكم أولئك —

فكم من زائد في اول الامر حكم له من بعد بالاصالة وكم من مركب في الابتداء صار مفردا في الانتهاء

وانظر الى ميم مكن فانه لا يتوقف احد من اهل الصرف عن الحكم بأنها اصلية فانها نظير ميم مرن ومكث مع ان بعضهم قال انها مأخوذة من السكان وميمه زائدة فهو مفعل من السكون لكن لكثرته في الكلام توهموا ان ميمه اصلية فأجروه مجرى فعال كزمان وجمع على امكنة ثم اخذ منه مكن وتمكن

وانظر الى همزة أمّعة وهو الذي يتابع كل احد على رأيه ويقول له أنا معك ومنه قول ابن مسعود لا يكونن احدكم امعه وقد جاء في الأثر أغدُ عالما او متعلما ولا تكن امّعَة فانهم حكموا بأنها اصلية فوزنه فِعّلة مع ان الظاهر انها زائدة دخلت على لفظ مع فيكون وزنه افعلة قالوا لان افعل وافعلة لا يكونان وصفا

ومثل ذلك تاء تخذ فانهم حكموا بأنها اصلية مع انها كانت في الاصل زائدة قال علماء اللغة يقال أتخذوا في القتال بهمزتين اى اخذ بعضهم بعضا والاتخاذ افتعال ايضا من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدالها بالتاء ثم لما كثر استعماله توهموا ان التاء فيه اصلية كتاء اتبع فبنوا منه فعل بالكسر فقالوا تخذت زيدا صديقا اذا جعلته كذلك ومصدره تخذ بفتح الخاء وسكونها — واستبعد بعضهم ذلك فجعل تخذ اصلا وجعل اتخذ مأخوذا منه فهما بمنزلة تبع واتبع — ومن دقق النظر تبين له ان البناء على التوهم لا يحصى في اللغة وان معظم اتساعها

نشأ عن ذلك

ومغزى الكلام هنا ان الحكم على كلمة بكونها كانت مجردة ثم زيد فيها شيء لا ينافي الحكم عليها بأنها ليس فيها زائد نظرا الى الحال الحاضر

ويظهر لك هذا الامر ظهورا لا خفاء بعده بأمر النحت وهو جعل الكلمتين كلمة واحدة بعد ازالة ما يمنع التئامهما نحو حيعل المنادي اي قال حي على كذا قال الشاعر

اقول لها ودمعُ العين جارٍ   الم يحزنك حيعلةُ المنادي

وقد ذكروا ان اكثر الكلمات التي تجاوزت حروفها الثلاثة منحوت ولا يخفى ان المنحوت مفرد مع انه كان في الاصل مركبا فليس يسوغ لمن لا يعرفه أو ينكره أن يعترض على القائل به بأن الألفاظ المدّعى نحتها مفردة مع أنّ قاعدة النحت تقتضي انها مركبة لان المدعي للنحت لا يخالفه في كونها الآن مفردة وقد ذكرنا في كتاب أصول اللغة انه قد يعرض في بعض المواضع أن تختلف أنظار كل من علماء الصرف وعلماء اللغة وعلماء الفقه فيها ويكون لكل وجهة — . والواجب على كل فريق منهم أن يعطي فنه ما يستحقه من النظر والاعتبار غير متعرض لما لا يعنيه من الاعتراض على غير أهل مذهبه فإنّ ذلك أقرب للسلامة من الخطا والخطل وان كان ماليا بها كلها كان أجدر أن يعطي كل فن ما يستحقّه من النظر والاعتبار لأشرافه عليها من عل الا انّ يبدو له شيء يضطره اليه البرهان فيقول به فان أصاب فله مع الاجر

جميل الذكر وان أخطأ لم ينح عليه باللائمة لانه تكلم فيما له به المام وعلى كل حال — فليكن متمثلا بقول من قال

يوما يمان اذا لاقيتُ ذا يمن * وان لقيت معدّيا فعدناني

هذا والإِمَّعة بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة وقد تفتح الهمزة والهاء فيه للمبالغة . — ولا أستبعد ان يكون الامّعة منحوتا مما يقوله لكل من يلقاه وهو اني معه — حذفت النون الثانية ليتيسر المزج ثم قلبت النون ميما — ثم ادغمت في ميم مع فصار أمّع ثم زيدت فيه الهاء للمبالغة فصار أمّعة ويقال أيضا أمّع بدون هاء

ولعلّ قائلا يقول كيف يحكمون بأنّ الأصل في الكلم العربيّة ان تكون على ثلاثة أحرف فما زاد على ثلاثة يكون اما من المزيد فيه أو مما ركب من كلمتين صارتا بعد بطريق النحت كلمة واحدة — . وما نقص عن ثلاثة أحرف يكون مما حذف منه شيء الا ان تكون الكلمة من قبيل الحرف كهل وقد أو من قبيل الأسماء المشابهة للحرف كمن وهو — فان هذا النوع يحكم فيه بأنه قد نشأ كذلك لعلة يذكرونها والخليل بن أحمد يسمي مثل در وردّ ثنائيا ويفتتح في العين كل حرف من الحروف به وناهيك قول مثل صاحب مفتاح العلوم في مبحث النواصب وهو من العدلية المعروفين بالاعتزال — والخليل من الجماعة الموصوفين بالاعتدال : وأما الناصبة للأفعال فالأصل فيها ان عند الخليل قدس الله روحه وقول الخليل يغني عن الدليل

اذا قالت حذام فصدقوها * فان القول ما قالت حذامِ

على ان كثيراً من الباحثين عن أصول اللغات في هـذا العصر قد أفضى بهم البحث الى ان الكلم في اللغات الساميّة كانت ثنائية في أول الامر

فنقول إن الخليل انما سمّي مثل در ورد بالثنائيّ المضاعف وفي لفظ المضاعف ما يدل على انه لم يرد بلفظ الثنائيّ المعني الذي تشير اليه ألا ترى انه لمـا ذكر در في أول حرف الدال في نوع الثنائيّ المضاعف منـه أتبعه بذكر دردر ودردور — ولا شك ان در در ذو أربعة أحرف ولـكن سماه هو ثنائيا لعدم وجود غير الدال والراء فيه وهما حرفان وان كان كل منهما قد ضوعف — وذكر بعده الدرد وهو ذو ثلاثة أحرف غير أن فاءه ولامه من جنس واحـد —٠— والددن وهو ذو ثلاثة أحرف غير أن فاءه وعينه من جنس واحد— ثم لما انقضى الثنائيّ المضاعف انتقل الى ذكر الثلاثي الصحيح فذكر فيه ما ذكر من نحو دثر ودرن ودفر وما قلب منها على عادته ٠٠٠ وعلى ذلك جرى في سائر الحروف —

وههنا أمر جدير بأن ينظر فيه وهو أنهم قالوا ان الاصل في أواخر الـكلم ان تكون ساكنة قال في المفتاح ان اعتبار أواخر الـكلم ساكنة مالم يعرف عن السكون مانع أقرب لخفـة السكون بشهادة الحس وكون الخفـة مطلوبة بشهادة العرف ولـكون السكون أيضا اقرب حصولا لتوقفه على اعتبار واحـد وهو جنسه دون الحركة لتوقفها على اعتبارين جنسها ونوعها فتأمل ٠ اه

وعلى هذا يكون المضاعف على حرفين حين الوضع وذلك لأن الكلمات قبل التركيب تبنى على الوقف واذا وقف عليه بقي على حرفين فتقول في قدَّ قدْ بسكون الدال وفي دلَّ دلْ بسكون اللام فتصير قدْ حين الوقف على صورة قدْ في قولك قدْ قام غير أن بينهما فرقاً يشعر به السامع مثل ما يشعر به المتكلم وذلك ان الحرف المشدد اذا وقف عليه يكون الاعتماد عليه أكثر فيبقى فيه شيء من آثار التشديد فيشعر السامع بأنه كان قبل الوقف مشدداً

ومن أراد ان يتجاوز هذا الحد عسر عليه ذلك الآن ان يأخذ بالمذهب الذي تقبله ابن جني بقبول حسن وهو ما ذكره في الخصائص بقوله — ذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . — وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل . اهـ فان حكاية الاصوات تظهر في المضاعف أكثر مما تظهر في غيره واذا استقرأت المضاعف وجدت جله مما يشعر بحكاية صوت وكثير من ذلك يظهر بأدنى التفات اليه وكثير منه يحتاج الى قوة حس وحدس فيبدو لأناس ويخفى على آخرين حتى ان بعض المنكرين يخيل أن هذا من تأثير التخيل ويقول ان هؤلاء لما اعتقدوا أن المضاعف نشأ عن حكاية الأصوات صاروا يتخيلون في المضاعف صوتاً يشاكل ما أخذ عنه وان لم يكن ثم مشاكلة

قال ابن جني بعد أن أفاض في بيان مناسبة اللفظ للمعنى ووراء هذا ما اللطف فيه أظهر والحكمة أعلى وأصنع — وذلك انهم قد يضيفون الى اختيار الحروف تشبيه اصواتها بالاحداث المعبر عنها وتقديم ما يضاهي اول الحدث وتأخير ما يضاهي آخره سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب — ومن ذلك قولهم شدّ الحبل فالشين لما فيها من التفشي تشبه صوت اول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد ثم يليها احكام الشدّ والجذب فيعبر بالدال التي هي اقوى من الشين لا سيما وهي مدغمة فهي أقوى لصيغتها وادلّ على المعنى الذي أريد بها — فأما الشدة في الأمر فانها مستعارة من شد الحبل . —

ومن ذلك قولهم جرّ الشيء يجره قدم الجيم لأنه حرف شديد وأول الجرّ مشقة على الجارّ والمجرور جميعا ثم عقبوا ذلك بالراء وهي حرف تكرير وكرروها مع ذلك في نفسها — وذلك لان الشيء اذا جرّ على الأرض في غالب الامر اضطرب صاعدا عنها ونازلا وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق فكانت الراء لما فيها من التكرير ولأنها أيضاً قد كررت في نفسها أوفق بهذا المعنى من جميع الحروف . — فان رأيت شيئاً من هذا لا ينقاد لك فيما رسمناه ولا يتابعك على ما اردناه فذلك لأحد أمرين اما ان يكون لم تنعم النظر فيه فيقعدك فكرك عنه أو لأنّ لهذه اللغة اصولا وأوائل قد تخفى عنا وتقصر أسبابها دوننا .هـ

وعلى ما ذكر من انّ اللغات انما نشأت عن الأصوات وانّ حكاية

الاصوات تظهر في المضاعف أكثر مما تظهر في غيره وان الاصل في أواخر الكلم السكون يقوى القول بان الكلمات كانت في أول الامر ثنائية وأن أول ما وضع من الكلم هو المضاعف ثم تلاه غيره قال ابن جني الصواب رأي أبي الحسن الاخفش سواء قلنا بالتوقيف أم بالاصطلاح أن اللغة لم توضع كلها في وقت واحد بل وقعت متلاحقة متتابعة

واعلم ان الذين قالوا بحدوث اللغات عن الاصوات وبكونها لم توضع كلها في وقت واحد يقولون ان هذا لا ينافي قوله سبحانه وعلم آدم الاسماء كلها لان غاية ما في القول الاول ثبوت المناسبة بين اللفظ والمعنى وفي ذلك دلالة على حكمة الواضع وغاية ما في القول الثاني ان بعض الاشياء لم يوضع لها اسم اذ ذاك لعدم الاحتياج اليها حينئذ اما لانها لم توجد بعد أو لأنها وان وجدت فان الحاجة لم تدع اليها فان وضع الاسم للشيء انما تكون له فائدة اذا كان مما يحتاج اليه ليدل به حين الحاجة عليه

ويدل على ان ما لم يوجد حينئذ لم يوضع له اسم تتمة الآية وهي قوله سبحانه وتعالى ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم: — قال المفسرون الضمير في عرضهم عائد الى المسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير وعلم آدم أسماء المسميات كلها ثم عرض المسميات على الملائكة وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء واما التأكيد

بكلّ هنا فاجابوا عنه بأنّ كلّ قد يأتي للتكثير دون الاحاطة كقوله تعالى ولقد أريناه آياتنا كلها والتزم بعضهم التخصيص في الاسماء فقال التقدير وعلم آدم اسماء المسميات التي احتاج اليها كلها — وعليه فتكون كل هنا على ظاهرها من الدلالة على الاحاطة — وعلى كل حال فايراد الاسماء وهو جمع محلى بالالف واللام وهو مما يدل ظاهره على العموم وتأكيد ذلك بكلّ يدلّ على انّ ما علمه آدم عليه السلام من ذلك امر عظيم لا يحاط بكنهه — ولا يخفى ان معرفة الاسماء على الحقيقة لا تكون الاّ مع معرفة المسمى وحصول صورته في النفس ولذلك كان التصور في اللغة او التقصير فيها موجبا في الاكثر للتقصير في كثير من العلوم — وكفى بهذه الآية دليلا على شرف علم اللغة

ولنرجع الى أول الكلام فنقول قد عرفت انّ طريقة الجمهور يتحد فيها الاول والثاني في كل فصل من فصول الابواب الاّ انّ ترتيب الكلمات في الفصل الواحد يكون بالنظر الى ما بعد الثاني فما كان فيه مقدما قدّم لا فرق بين المضاعف وغيره وقد التزم الراغب الاصفهانيّ ان يبدأ بالمضاعف ان كان ثم بمضاعفه ثم يعود الى الترتيب المشهور فيذكر في فصل الراء من باب الباء برّ وبربر ثم يأخذ في ذكر برأ فما بعده

وكأنّ لذلك سببين أحدهما ان عنوان الفصل ينطبق على المضاعف أكثر من انطباقه على غيره فان دخول برّ في فصل الباء مع الراء اظهر من دخول برأ ونحوه فيه لوجود زيادة فيه على عنوان الفصل —

ولأنه ثنائيّ في بادئ الرأي والثنائيّ مقدّم على ما فوقه وهذا سبب لفظيّ لامانع من مراعاته

والثاني ما أشير اليه سابقا وهو انّ المضاعف هو الاصل في كل فصل — وهذا سبب معنويّ جدير بالمراعاة

وقد ذكر بعضهم مثل رأب في راب ومثل صبأ في صبا لانقلاب الهمزة في كثير من المواضع الى حرف العلّة

وقد قدم بعضهم الهاء على الواو موافقة للمغاربة في هذا الموضع وهذا موافق للحكمة لأن الواو والياء أختان لا ينبغى أن يفصل بينهما بفاصل لا سيما وكثير من ذوات الواو قد وردت في بعض اللغات بالياء نحو محوته فقد ورد محيته من باب نفع في لغة ونحو فاح يفوح فوحا فقد جاء فيه فاح يفيح فيحا في لغة . — وكثير من ذوات الياء قد وردت في بعض اللغات بالواو نحو كنيت عنه فقد ورد كنوت عنه في لغة ونحو تاه يتيه فقد جاء تاه يتوه في لغة —

هذا وقد أحببنا أن نذكر لك طريقة المغاربة في ترتيب حروف الهجاء فانّ ذلك ينفعك حين مطالعة كتبهم المرتبة على حروف المعجم كـكتب اللغة والتاريخ وقد وافقوا المشارقة في الالف فما بعدها الى حرف الزاي وخالفوهم فيما فوق ذلك وها هي مسوقة على ترتيبهم وتحتها حروف المعجم مسوقة على ترتيب المشارقة وهي بخط دقيق

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ه ي

وخالفوهم أيضا في ترتيب الحروف في أبجد وترتب عليه الاختلاف في أعدادها حين الحساب بها على الطريق المعروف بحساب الجمل الآ ان الاختلاف انما وقع فيما بعد النصف الاول وهو ما بعد كلمن — وهاهي مسوقة اليك على النهج السابق

أ ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن

أ ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠

ص ع ف ض ق ر س ت ث خ ذ ظ غ ش

س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ ٦٠٠ ٧٠٠ ٨٠٠ ٩٠٠ ١٠٠٠

فان قلت انّ الذي ذكرته من مزية طريقة الجمهور موجود في طريقة الجوهري فانّ الجمهور جمعوا في كل فصل بين الكلمات التي تماثل أولها وثانيها وهو جمع في كل فصل بين الكلمات التي تماثل أولها وآخرها فالاتفاق في حرفين حاصل في الطريقتين قلت ان التقارب بين الالفاظ وان كان موجبا للتقارب بين المعاني الا أن درجات التقارب مختلفة اختلافا بينا فان التقارب بين كنّ وكند وكنز مما يجتمع

في فصل على طريقة الجمهور أبين من التقارب بين ركن وزكن وسكن مما يجتمع في فصل على طريقة من رتب كتابه على القوافي فانه يلتزم رعاية ماقبل الآخر رعاية لن يلتزم من الادباء مالايلزم — . والتقارب فيها أبين من التقارب بين كمن وكان وكهن مما يجتمع في فصل على طريقة الجوهري وان كانت هذه الكلمات كلها متقاربة لوجود الكاف والنون فيها أجمع غير ان الاخيرة قد فصل فيها بين الحرفين حرف أجنبي بخلاف الاولى والثانية غير أن الاولى قد جعل الحرفان فيها في مبدا الكلمة وهي أول مايقرع السمع فاذا فرضنا ان كن المركبة من الكاف والنون هي أصل هذه المواد المختلفة يكون ظهور معناها في القسم الاول أقوى من الثاني وفي الثاني أقوى من الثالث ولنتمم البحث في هذا المثال فانه فيما يظهر قريب المنال — فنقول الكن بالكسر السترة والجمع اكنان — وكن الشيء وأكنه ستره — واستكن الشيء استتر — ومعنى الستر موجود في كل كلمة وجدت في أولها هذه المادة

تقول كند فلان اذا كفر النعمة فهو كنود — واصل الكفر تغطية الشيء .

والكنز المال المدفون وقد كنزه من باب ضرب ويقال كنزه اذا جمعه وادّخره

وكنس الظبي كنوسا دخل في كناسه وهو مستتر في الشجر لانه يكنس الرمل حتى يصل — والذي يظهر ان كنس الدار مأخوذ من

كنوس الظبي

وكنع كنوعا انقبض وانضمّ وذل وخضع — وكنع عن الامر جبن عنه

والكنيف هو ما يستر من بناء أو حظيرة ويقال للترس كنيف لانه يستر صاحبه ويقال كنفت الرجل اذا قمت بأمره وجعلته في كنفك أي حرزك ،

وكنه الشيء حقيقته ونهايته وغايته ووقته يقال عرفته كنه المعرفة ولا يشتق منه فعل

وكنيت عن الامر وكنوت عنه اذا ورّيت عنه بغيره — وتكنى تسترّ ومنه قول بعضهم رأيت عاجا يوم القادسية قد تكنى — وقيل تكنى بمعنى ذكر كنيته وهو من شعار المبارزين في الحرب يقول أحدهم أنا فلان وأنا أبو فلان

فانظر الى ظهور معنى الستر في أكثر هذا الفصل ظهورا بينا

وأما ما تأخرت الكاف والنون فيه نحو تكن وركن وزكن وسكن وعكن ولكن ومكن ووكن — فيقلّ ظهور ذلك المعنى فيه الا في قليل منها نحو الشكنة بالضم فانها جاءت بمعنى القبر وبئر النار والحفرة التي تكون بقدر ما يواري الشيء والنية من ايمان وكفر ومركز الأجناد ومجتمعهم تحت لواء صاحبهم وان لم يكن هناك لواء ولا علم — . ونحو الوكن والوكنة فانهما بمعنى عش الطائر — وأما الدكان وهو الحانوت فانه معرّب والمعرب لا مدخل له في هذا الباب

فان وجد فيه المعنى كان من قبيل الصدفة —

وأما مافصل فيه بين الكاف والنون بحرف نحو كبن وكتن وكفن وكمن وكان وكهن فظهور ذلك فيه أقل مما قبله كما في نحو كفن وكمن

واما كبن الشيء اذا غيبه فلعله مأخوذ من خبن تقول خبنت الطعام اذا غيبته والخبنة ما تحمله في حضنك

واعلم ان هذا المبحث صعب المسلك فيجب على سالكه ان يكون شديد الانتباه كثير الاحتراز لئلا يدخل عليه كلمة معربة أو ناشئة من غيرها بطريق القلب او الابدال ونحو ذلك والاولى له ان لا يتعرض لغريب اللغة فربما كان فيه ما هو من لغة حمير وما جرى مجراها ولغة حمير تخالف لغة مضر في كثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها وقد حاول بعض من لم يشعر بذلك ان يشتق بعض كلماتها كالقيل من لغة مضر فأغرب — والقيل الملك من ملوك حمير

قال بعضهم أصله قيّل بالتشديد كميت سمى به لانه يقول ما شاء فينفذ والقياس في جمع قيل أقوال مثل ميت وأموات وروي في الحديث الى الاقيال العباهلة — والقياس الاقوال في جمع فيعل من القول ويجوز ان يكون الاقيال جمع قيل الذي هو فيعل من قولهم تقيّل أباه اذا أشبهه كأن كل ملك يشبهه الآخر في ملكه كما قيل تبع لما كان يتبع الآخر . اه

قال عمرو بن العلاء مالسان حمير وأقاصي اليمن لساننا ولا عربيتهم عربيتنا —

وقال ابن جني في الخصائص لسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها من لغة ابني نزار فقد يمكن أن يقع شيء من تلك اللغة في لغتهم فيساء الظن بمن سمع منه وانما هو منقول من تلك اللغـة • ودخلت يوما على أبي عليّ رحمه الله خاليا في آخر النهار فحين رآني قال أين كنت أنا اطلبك قلت وما ذلك قال ما تقول فيما جاء عنهـم من حوريت فخضنا معه فيه فلم نحل بطائل منه فقـال هو من لغة اليمن ومخالف للغة ابني نزار فلا ينكر أن يجيء مخالفا لامثلتهم

وقال ابن دريد في كتاب الاشتقاق وهو كتاب في اشتقاق اسماء المشهورين من العرب بعد أن ذكر اسماء مَهْرَةَ بن حيدان وقد تقدم قولنا في أن هذه الاسماء المستشنعة مشتقة من أحرف قد أميتت

ومهرة قد انقطعوا بالشحر فبقيت لغتهم الاولى الحميرية لهم يتكلمون بها الى هذا اليوم

وقال في اسماء قبـائل ذي الكلاع قد عرفتك آنفا ان هـذه الاسماء الحميرية لا نقف لها على اشتقاق لانها لغة قد بعدت وقدم العهد بمن كان يعرفها ومن وقف على القلب والابدال والنحت وبرع في ارجاع المواد المختلفة الى مادة واحـدة على الطريقة التي أشرنا اليها وعرف مع ذلك الاصل الاول في المادة الواحدة فقد أشرف على اللغة ووقف على أسرارها وقوي أنسه بها

ومعرفة الاصـل الاول في المادة الواحدة أمر مهم وقد قال به بعض علماء الاشتقاق مثال ذلك مادة ش ج ر فانهم ذهبوا الى ان

الاصل فيه الشجرة المعروفة ذات الاغصان وكل ما في هذه المادة راجع اليها تقول شجر الامر بين القوم اذا اختلف واختلط وتأويله اختلف واختلط كاختلاف أغصان الشجرة واختلاطها — واشتجر القوم وتشاجروا اذا اختلفوا أو تنازعوا — وشجره بالرمح اذا طعنه به وتأويله انه جعله فيه كالغصن في الشجرة — وشجر بيته اذا عمده بعمود وشجر الشجرة اذا رفع ما تدلى من أغصانها — الى غير ذلك فكل ما تفرع من هذه المادة فأصله الشجرة عندهم وقس على ذلك مالا يحصى من الكلام مثل مادة ظ ه ر فان الاصل فيه الظهر ومثل مادة ب ط ن فان الاصل فيه البطن وقد أنحى عليهم بالملام قومٌ هم أحقّ بذلك منهم فان الأمر في نفسه صحيح لكن الطريق اليه قد تخفى معالمه فخذ ماصفا ودع ما كدر

ومن الغريب اطلاق العقيرة على الصوت في قولهم رفع فلان عقيرته والعقيرة الساق المقطوعة وأصله انّ رجلاقطعت احدى رجليه فرفعها ووضعها على الاخرى وصرخ فقيل بعدُ ولكل رافع صوته قد رفع عقيرته قال ابن جني في الخصائص توقف أبو بكر عن كثير مما أسرع اليه أبو اسحق من ارتكاب طريق الاشتقاق واحتجّ أبو بكر عليه أنه لا يؤمن بان تكون هذه الالفاظ المنقولة الينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها ولم ندر ما حديثها ومثل له بقولهم رفع عقيرته أي رفع صوته قال له أبو بكر فلو ذهبنا نشتق لقولهم ع ق ر من معنى الصوت لبعد الامر جداً وانما هو أن رجلا قطعت احدى رجليه

فرفعها ووضعها على الأخرى ثم نادى وصرخ بأعلى صوته فقال الناس رفع عقيرته أي رجله المعقورة قال أبو بكر فقال أبو اسحق لست أدفع هذا ولذلك قال سيبويه في نحو من هذا أو لأنّ الاول وصل اليه علم لم يصل الى الآخر ولا يخفى انّ مثل هذا قايل

ولو سددنا باب البحث خشية من وقوع الخطأ في بعض المسائل لانسد باب العلم وبقيت أكثر الفنون في حال السكمون نعم في مثل ذلك زاجر لمن لا يتروّى في المسائل ولا يعتدّ في الاستنباط ما يلزمه من الوسائل • ومن هذا النوع كذب في الاغراء فان ظاهره يبعد عن ذلك يقال كذب كذا أي عليك به قال عنترة

كذب العتيق وماء شن بارد * ان كنت سائلتي صبوحا فاذهبي

أي عليك بالعتيق قال محمد بن السريّ انّ مضر تنصب به واليمن ترفع — ومعنى كذب عليك البزر أي الزمه وخذه ووجه ذلك ان الكذب عندهم في غاية الاستهجان ومما يغري بصاحبه ويأخذه المكذوب عليه فصار معنى كذب فلان الاغراء به أي الزمه وخذه فأنه كاذب فاذا قرن بعليك صار أبلغ في الاغراء كأنك قلت افترى عليك فخذه ثم استعمل في الاغراء بكل شيء وان لم يكن مما يصدر منه الكذب كقول بعضهم لمن شكا اليه المعص وهو التواء في عصب الرجل كذب عليك العسل أى عليك بالعسلان وهو مشي الذئب أى عليك بسرعة المشي

ومما ينبغي التروّى فيه ماجاء على نهج الاتباع فانه كثيراً ما

لايكون له في حال الافراد معنى قال النحاة : التأكيد اللفظيّ ضربان أحدهما يكون باعادة اللفظ الاول بعينه نحو جاءني زيد زيد وثانيهما يكون بايراد موازنه مع اتفاقهما في الحرف الاخير نحو حسن بسن • — وهو ثلاثة أقسام

احدها ان يكون لثاني معنى ظاهر نحو هنيأ مريأ

وثانيها ان لا يكون له معنى أصلا ولكن ضمّ الى الاول لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنى وان لم يكن له في حال الافراد معنى

وثالثها ان يكون له معنى متكلف غير ظاهر نحو خبيث نبيث — فالنبيث يمكن ان يكون بمعنى الذي ينبث أمور الناس أي يستخرجها من نبثت البئر اذا أخرجت نبيثتها وهو ترابها وكان قياسه ان يقال خبيث نابث لكن قيل نبيث لموازنة خبيث — ولاعتنائهم بتقارب اللفظين قلبوا واو بوص ياء وذلك في قولهم وقعوا في حيص بيص — قال بعض اللغويين الإتباع هو ان تتبع الكلمة كلمة على وزنها أورويها تأكيداً

وقد ألف ابن فارس فيه كتابا قال في أوله هذا كتاب الإتباع والمزاوجة وكلاهما على وجهين أحدهما ان تكون كلمتان متواليتان على رويّ واحد • — والوجه الآخر ان يختلف الرويان • — ثم تكون بعد ذلك على وجهين أحدهما ان تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف • والآخر ان تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بينة الاشتقاق الآ انها كالإتباع لما قبلها — روى أنّ بعض العرب سئل عن هذا الاتباع فقال هو شيء نتِد به كلامنا — • ه

ثم ان الكلمات التي لها معنى معروف قد تكون بمعنى ماقبلها وقد يكون لها معنى غير معناه — وقد كان بعض اللغويين لا يسمى بالإتباع الا ما لا يكون له معنى اذا جيء به وحده نحو نطشان في قولك عطشان نطشان بخلاف قولهم فلان قسيم وسيم فان وسيم قد جاء دون قسيم — يقال رجل وسيم أي جميل وامرأة وسيمة — والوسم الحسن والجمال

وقال ابن دريد سألت أبا حاتم عن معنى قولهم بسن فقال لا أدرى ماهو . وقد توهم بعضهم من عبارة أبي حاتم انه يرى أنّ ذكره من قبيل العبث فردّ عليه بأنه يفيد التقوية وليس ذكره سدى ولا يخفى ان ابا حاتم انما قال لا أدري ماهو بالنظر اليه وحده — واما افادته التوكيد عند مجيئه تابعاً لحسن فهو أمر لايخفى على أحد من أهل اللغة

ونظير ذلك اعتراض بعضهم على النحاة في قولهم هذا الحرف زائد — وما بعد اذا زائدة فظنوا ان قولهم بذلك يدلّ على انّ في اللغة ماهو من قبيل العبث مع انهم قد صرحوا في الكتب المبسوطة بأن معنى قولهم ان هذا زائد انه انما جيء به لتوكيد الكلام وإحداث معنى وذلك كما من قوله تعالى فبما نقضهم وعما قليل ومما خطيآتهم والباء في قوله أليس الله بكاف عبده — ومن اكثر التتبع تبين له أنّ أكثر الاعتراضات التي يوردها بعض أرباب الفنون على ما ليس من فنهم تكون واهية — وكأن بعضهم ارتاع من اعتراض مثل هؤلاء فحاول ان يوجد لبسن معنى فقال الاصل في بسن بسّ وبسّ مصدر بسست حذفت احدى السينين تخفيفاً وزيدت فيه النون وبني على مثال

حسن ومعنى حسن بسن حسن كامل الحسن ويمكن ان يقال وهو الأحسن أبدلت السين الثانية هنا نونا ولم تبدل ياء على ما هو المألوف في المضاعف رعاية للاتباع لانّ مذهبهم فيه ان تكون أواخر الكلم على لفظ واحد مثل القوافي والسجع • — وقد خاص أبو حاتم بقوله لاأدرى من التعسف وفي مثل هذه المجاهل ينبغي ان يقال ان لاأدرى نصف العلم من غير أن يوصل بقول بعض المستدركين لكنه من النصف الذي لاينفع : ومن الاتباع قولهم هو همزة لمزة — الهمزة والهماز العياب — والهمز مثل الغمز والضغط ومنه الهمز في الكلام تقول همزت الكلمة همزاً وهي كلمة مهموزة لأن الهمز لابدّ فيه من ضغط وقيل لاعرابي اتهمز الفارة فقال السنّور يهمزها • — واللمزة واللماز كالهمزة والهماز وأصل اللمز الاشارة بالعين ونحوها — •

قال أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي في كتاب ايضاح علل النحو ذكر بعض شيوخنا ان الخليل بن أحمد سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو فقيل له عن العرب اخذتها ام اخترعتها من نفسك ؟ فقال ان العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله وان لم ينقل ذلك عنها — وعللت انا بما عندي انه علة لما عللته به — فان أكن أصبت العلة فهو الذي التمست — وان يكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل ان يكون علة له — •

ومثلي في ذلك مثل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم والاقسام وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو البراهين

الواضحة والحجج اللائحة فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شيء منها قال انما فعل هذا هكذا لعلة كذا وسبب كذا لعلة سنحت له وخطرت محتملة ان تكون علة لتلك فجائز ان يكون فعله لغير تلك العلة الا انّ ما ذكره هذا الرجل محتمل ان يكون علة لذلك — فان سنحت لغيري علة لما عللته من النحو هي اليق مما ذكرته فليأت بها . وهذا كلام مستقيم وانصاف من الخليل . اه

هذا والمراد باللغات السامية فيما سبق ذكره اللغات المنسوبة الى سام ابن نوح عليه السلام . — وسبب هذه النسبة كون اكثر المتكلمين بها من نسله وأشهرها العربية والعبرانية والسريانية وقد نشأت هذه اللغات الثلاثة من أصل واحد هو لهنّ بمنزلة الأم وهي اللغة الارامية نسبة الى ارام أحد أبناء سام وقد عدّت هذه اللغات الثلاث اخوات لما ذكر ولكثرة التشابه بينهن وقال بعض العلماء كانت لغة العبرانيين في أول الامر هي السريانية اذ كان جدهم ابراهيم عليه السلام سريانيا مولدا وموطنا فلما هاجر الى ارض كنعان واختلط بنوه بالكنعانيين سكان تلك الارض تغيرت لغتهم تغيرا ما ونشأت عنها اللغة العبرانية — والكنعانيون هم اولاد كنعان احد أبناء سام وقد عرفهم بعض اللغويين بقوله الكنعانيون أمة تكلمت بلغة تضارع العربية

قال الامام ابن حزم في كتاب الإحكام لاصول الأحكام لا ننكر اصطلاح الناس على احداث لغات شتّى بعد أن كانت لغة واحدة وقفوا عليها — بها علموا ماهية الاشياء وكيفياتها وحدودها — .

ولا ندري أيّ لغة هي التي وقف آدم عليه السلام عليها اوّلا الاّ أنّا نقطع على انها أتمّ اللغات كلها وأبينها عبارة وأقلها اشكالا واشدها اختصارا واكثرها وقوع أسماء مختلفة على المسميات كلها المختلفة من كل ما في العالم من جوهر أو عرض لقول الله عزّ وجلّ وعلّم آدمَ الاسماء كلها — • فهذا التأكيد يرفع الاشكال ويقطع الشغب فيما قلناه • — وقد قال قوم هي السريانية — وقال قوم هي العبرانية وقال قوم هي العربية — والله اعلم — الاّ انّ الذى وقفنا عليه وعلمناه يقينا ان السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبدّلت بتبدّل مساكن أهلها فحدث فيها جرس كالذي يحدث من الاندلسي اذا رام نغمة أهل القيروان ومن القيرواني اذا رام نغمة الأندلسي ومن الخراسانيّ اذا رام نغمتهما • — ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلّوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول انها لغة اخرى غير لغة أهل قرطبة — وهكذا في كثير من البلاد فانه بمجاورة أهل البلدة لأخرى تتبدل لغتها تبدلا لا يخفى على من تأمله — ونحن نجد العامة قد بدّلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا هو في البعد عن اصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق فتجدهم يقولون في العنب العيناب وفي السوط اسطوط وفي ثلاثة دنانير ثلاثدا — • واذا تعرب البربريّ فأراد ان يقول الشجرة قال السجرة واذا تعرّب الجليقيّ أبدل من العين والحاء هاء فيقول مهمد اذا أراد ان يقول محمد ومثل هذا كثير —

فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن ان اختلافها انماهو من نحو ما ذكرنا من تبدل الفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الامم وانها لغة واحدة في الاصل واذ قد تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية وللعبرانية معا — والمستفيض أنّ أول من تكلم بهذه العربية اسمعيل عليه السلام فهي لغته ولغة ولده والعبرانية لغة اسحق ولغة ولده — والسريانية بلا شك هي كانت لغة ابراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم بنقل الاستفاضة الموجب لصحة العلم — فالسريانية أصل لهما

هذا ولنعد الى أصل الكلام فنقول ان كل كتاب رتب على حروف المعجم ابتدأ بالالف وانما قدمت لتقدمها في حروف أبجد التي هي الاصل — ولتقدم مخرجها على سائر المخارج فانها من أقصى الحلق ولكثرة ورودها فى الكلام وقد قيل ان جميع أهل اللغات المشهورة يبتدؤن بالالف عند تعداد الحروف الاّ الحبشة —

والمراد بالالف هنا الهمزة لا ألف المد لانها لا توجد في أوائل الكلم حتى عند الذين يجوّزون الابتداء بالساكن لأنها لا تحدث الا اذا سبقها حرف متحرك بالفتحة اذا مد فمن ثم لم توجد الاّ في الوسط او في الآخر — على ان الالف فى أصل الوضع كان اسما للهمزة واما الف المد كألف قال فلم يجعل لها الواضع اسما لعدم استقلالها بنفسها وانما يطلق عليها الالف مجازا حيث تظهر بصورته في الكتابة — وانما كتب بصورة الالف لأن الالف كثيرا ما تقلب اليها حين

التخفيف وذلك فى مثل سأل وقرأ —

قال المحققون ان الواضع لاسماء الحروف قد راعى امرا بديعا وهو انه جعل مسمى كل حرف في صدر اسمه ولا يخفى ان أول الالف هو الهمزة — وقد وهم من ظن ان الالف كانت في الاصل اسما لذلك الحرف الذي لا يقوم بنفسه فقال ان الذي يذكر في حروف التهجي هو الالف لا الهمزة — وكل الحروف قد صدر فيها المسمى بالاسم الآ الالف فانه لا يتأتى فيه تصدير الاسم بالمسمى —

واما الهمزة فهو اسم حدث فما بعد ولما شاع كثر اطلاقه على الالف وكثر اطلاق الالف على ذلك الحرف الذي لا يستقل بنفسه حتى صار لفظ الالف كانه خاص به وهذا فى عرف المتأخرين • واما المتقدمون فاطلاق الالف على الهمزة شائع عندهم ذائع فيقولون هذه الف قطع وهذه الف وصل وهذه الف استفهام واما لفظ الهمزة فلم يطلقه احد على الف المد أصلا — وفرق بعضهم بين النوعين فسمى الف المد بالالف اللينة والهمزة بالالف اليابسة — وقد أطلق بعضهم الالف المتحركة على الهمزة مع انها قد تكون ساكنة اعتمادا على فهم المقصود من ذلك لانها فى مقابلة الف المد التي لا تقبل الحركة وينبغي ان لا يذكر الالف مطلقا في موضع يقع فيه التباس —

والذي حملنا على اطلاقها هنا ما ذكرنا من ان الف المد لا توجد فى اوائل الكلم فيرتفع اللبس ولانه الاسم الاول للهمزة ولان حروف المعجم لا يذكر فيها غيره ولذا التزم كثير ممن رتب كتبهم على

حروف المعجم ان لا يطلق غير هذا اللفظ فى العنوان ولانه الوارد فى الكتاب العزيز قال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه نعم يقع الالتباس في هذا الموضع فى كتب اللغة التي جعلت الباب معقوداً لاخر الكلمة كالصحاح فان أواخر الكلم كثيرا ما توجد فيها الالف اللينة غير أن صاحب الصحاح قد رفع اللبس بقوله باب الالف المهموزة —

واعلم ان الالف اللينة لا تكون أصلا في الاسماء المتمكنة والافعال وانما تكون فيهما زائدة كالف قتال وقاتل اومنقلبة عن واو أو ياء كالف قال وباع وغزا ورمى — وأما الحروف كما ولا والاسماء المشابهة لها كذا ومهما والاسماء المعربة كالدانق فالالف فيها أصلية — وقد عرفت ان أرباب اللغة لا يعتبرون الحرف الزائد وأما الحرف المنقلب عن غيره فيعتبرون الحرف الذي انقلب عنه فيذكرون غزا في غزو ورمى في رمي وقد عقد صاحب الصحاح للالف اللينة بابا على حدة جعله في آخر الكتاب اتماما للمقصود قال فيه باب الالف اللينة — لان الالف على ضربين لينة ومتحركة فاللينة تسمى ألفاً والمتحركة تسمى همزة — وقد ذكرنا الهمزة وذكرنا أيضاً ما كانت الالف فيه منقلبة من الواو والياء — وهذا الباب مبني على ألفات غير منقلبات من شيء فلهذا أفردناه — اه فان قلت ان الجمهور قد جعلوا الباب معقودا لاول الكلمة والفصل لثانيها فكان يمكنهم أن يجعلوا في كل باب فصلا للالف اللينة فلم يفعلوا ذلك ؟ قلت تركوا ذلك لقلة الكلمات

التي ثانيها ألف لينة أصلية وأما الاسماء المعربة كدانق وآب ونحو ذلك فذكروها في أشبه المواضع بها وهي المواضع التي يظن ان الباحث يحراها فيها — فذكروا دانق في دنق وآب في اوب واستبرق في برق وقس عليه غيره

واختلف في الهمزة والالف فقيل هما متحدتان بالذات غير ان في الهمزة شدة رفعتها للحلق فالفرق بينهما كالفرق ما بين النون الساكنة والمتحركة فانهما متحدتان مع ان بينهما فرقا وهي ان النون الساكنة تخرج من الخيشوم بدليل انك لو أمسكت بأنفك ثم نطقت بها لوجدتها مختلفة بخلاف النون المتحركة وان كان فيها بعض غنة تخرج من الانف وقيل هما مختلفتان بدليل اختلاف المخرج فان الهمزة من الحلق والالف من الجوف — وعلى الحالين فلا ينبغي أن يخلط بينهما كما فعل بعض اللغويين حين أراد ذكر معناهما بل يجب ذكر كل واحدة منهما على حدة

وقد أفاض العلماء في أمر الهمزة وما ذكروه فيها يبلغ سفراضخما لكثرة مالها من الأحوال وقد أحببنا أن نورد هنا أقل ما يمكن ايراده في مثل هذا المقام فنقول

ان الهمزة قد تكون من حروف المعاني وقد تكون من حروف المباني فاذا كانت من حروف المعاني فقد تكون للنداء اذا كان المنادى قريبا كقول امرئ القيس

أفاطمَ مهلاً بعض هذا التدلل ✽ وان كنتِ قدأزمعتِ صرمافأجملي

وقد تكون للاستفهام ومعناه طلب الفهم نحو أزيد قائم واأرأيت عمرا —

ويجوز مدها اذا جاء بعدها همزة نحو آأنت فعلت هذا قال ذو الرمة

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا آأنت ام امّ سالم

فصل بين الهمزتين بالالف فرارا من ثقلهما قال بعض العلماء هذا اذا لم تكن الهمزة الثانية ممدودة فان كانت ممدودة امتنع مدّ الاولى لما في اجتماع همزتين وألفين من الثقل الشديد نحو أآسيت زيدا وأآخيت عمرا —

وقد تخرج الهمزة عن الاستفهام فترد لنحو ثمانية معان مذكورة في كتب النحو

واذا كانت من حروف المباني فهي ثلاثة أضرب اصل وبدل وزائدة ومعنى كونها أصلا أن تكون فاء الفعل نحو امر وأمن وأنف وأذن وأبره أو عينه نحو سأل وسئم وضؤل وبأس وذِئب وبُؤس او لامه نحو قَرَا ووَطِئ ووَطُؤ ومَرْء ورِدْء ورُزْء —

ولم تجئ كلمة فاؤها وعينها همزة ولا عينها ولا مها همزة لما فى النطق بالهمزة من التكلف فاذا كرهوا الهمزة الواحدة فهم بكره الثنتين لاسيما اذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين احرى فليس فى الكلام لفظة توالت فيها همزتان وهما اصلان البتة .

وقد جاءت اسماء محصورة وقعت الهمزة فيها فاء ولاما نحو آءة وأجأ لوجود الفاصل بينهما

وذهب سيبويه في ألاءة وأشاءة وأباءة الى أنهما فعالة ولامها همزة والالاءة واحدة الالاء وهو شجر مر يدبغ به — والاشاءة واحدة الأشآء وهي صغار النخل — والاباءة واحدة الاباء وهي الاجمة من القصب وكلها بالفتح وذهب ابو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج الى ان الاباءة من ذوات الياء فهي من ابيت واصلها عنده أباية — وانما حملها على معنى ابيت لما ان الاجمة ممتنعة بما ينبت فيها من القصب وغيره من السلوك فكانها ابت وامتنعت على سالكها

ومعنى كون الهمزة زائدة ان لا تكون فاء الفعل ولا عينه ولا لامه وذلك نحو همزة أكرم وإثمد واكليل وشمأل وضهيأ

ومعنى كونها بدلا ان تقوم مقام حرف اما ضرورة واما استحسانا

وقد ابدلت من خمسة احرف وهي الالف والواو والياء والهاء والعين

اما ابدالها من الالف ففي العالم في قول العجاج

يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي * فخندف هامة هذا العألم

فقد روي أنه كان يهمز العالم

واما ابدالها من الواو والياء ففي أقتت في وقتت وفي أديه في قولهم قطع الله أديه يريدون يديه — وفي مثل قام واصله قوم وباع واصله بيع وفي مثل قائم وبائع وفي مثل علاء وكساء وقضاء وسقاء واصلها علاو وكساو وقضاي وسقاي لانها من علوت وكسوت وقضيت وسقيت وقد ابدلت الواو همزة بدلا مطردا اذا ضمت ضما لازما وذلك

نحو اثؤب قال فى الصحاح الثوب واحد الأثواب والثياب ويجمع فى القلة على أثوب وبعض العرب يقول اثؤب فيهمز لان الضمة على الواو تستثقل والهمزة اقوى على احتمالها وكذلك دار وادؤر وساق واسؤق وجميع ما جاء على هذا المثال ٠ اه ونظير ذلك قؤول وما اشبهه

قال سيبويه : واعلم ان هذه الواو اذا كانت مضمومة فنت بالخيار ان شئت تركتها على حالها وان شئت ابدلت الهمزة مكانها وذلك نحو قولهم في وُلد الد — وفي وجوه أجوه وانما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضمة كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو قؤول ومؤونة . — وأما الذين لم يهمزوا فتركوا الحرف على أصله كما يقولون قؤول فلا يهمزون

واذا التقت واوان في أول الكلمة لم يكن بدّ من همز الأولى وذلك كالأواقي في جمع واقية وأصلها وواقى لأنها فواعل الاّ انهم كرهوا اجتماع الواوين فقلبوا الأولى همزة —

وقد أبدلت الهمزة من الياء الزائدة في نحو قولهم حرباء وعلباء

واما ابدال الهمزة من الهاء ففى قولهم ماء وأصله موه لقولهم في الجمع أمواه وفي قولهم آل وأصله أهل أبدلت الهاء همزة فتوالت همزتان فأبدلوا الثانية ألفا كما أبدلوها في آخر وآدم ثم خصوه بأشرف المواضع التي يستعمل فيها أهل ولم يستعملوه في كل موضع يستعمل فيه أهل

واما ابدالها من العين فقد وقع في أباب بحر أي في عبابه وهو شاذّ وقال ابن جنى هو من أبّ اذا تهيأ وذلك ان البحر يتهيأ لما يزخر به فلهذا كانت الهمزة أصلا غير بدل من العين وان قلت انها بدل منها

فهو وجه وليس بالقويّ ومن أراد استيفاء هذه المباحث وما شاكلها فلينظر في كتابه المسمى بسر الصناعة

ولنرجع الى ابدال الهمزة من الألف فأنه أهم في هذا الموضع من غيره فنقول قد همز بعضهم الضألين وشابّة ودابّة وعلة ذلك انهم كرهوا اجتماع الساكنين فحركوا الألف لالتقائهما فانقلبت همزة لان الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يحمل الحركة فاذا اضطروا الى تحريكه قلبوه الى أقرب الحروف اليه وهو الهمزة — وذكر بعض العلماء ان أصل اطمأنّ اطمانّ مثل ادهامّ لكنهم همزوا على غير قياس فراراً من الساكنين وقيل أصله طأمن لكن أخرت في اطمأن على غير قياس بدليل قولهم طأمن ظهره اذا خفضه — وجاء في الشعر ادهأمّ بالهمزة في ادهام بالالف — وقد قلب بعض العرب كل ألف وقعت في آخر الكلمة همزة في الوقف قال ابن جنى حكى سيبويه في الوقف هذه حبلأْ يريد حبلى ورأيت رجلأْ يريد رجلا والهمزة في رجلأ انما هى بدل من الألف التي هي عوض من التنوين في الوقف ولا ينبغي ان تحمل على انها بدل من النون لقرب ما بين الهمزة والألف وبعد ما بينها وبين النون ولأنّ حبلى لا تنوين فيها وانما الهمزة فيها بدل من الألف البتة فكذلك همزة رأيت رجلأ وحكي أيضاً هو يضربهأْ وهذا كله في الوقف فاذا وصلت قلت هو يضربها ياهذا ورأيت حبلى أمس . اه

﴿ تنبيه ﴾ قال بعض علماء اللغة لا توجد الهمزة في كلام العجم الا في

الابتداء وهــذا القول صحيح لوروده في مورد الاجمال وهو سائغ اذا اقتضاه الحال وان أريد نوع من التفصيل قيل ان مهموز العين يوجد في السريانية غــير انه فيها قليل وفي العبرانية وهو فيها أقلّ ممــا في السريانية واما مهموز اللام فلا يكاد يوجــد فيها — وأكثر ما هو مهموز اللام فى العربية هو ناقص فى السريانية نحو قرا وبرأ

والمشهور عند السريانيين كما ذكر بعضهم تخفيف الهمزة فان كانت متحركة وكان ما قبلها ساكنا نقلت حركتها الى ما قبلها ثم حــذفت هي — وان كانت ساكنة قلبت حرف مدّ يجانس حركة ما قبلها — وبهذا تعلم انّ المختص باللغة العربية هي الهمزة الساكنة نحو همزة رأس وبؤس وبئس واقرأ عند من يحققها دون من يقلبها حرف مد كالسريان

هذا ولما كان العرب أكثر الامم تفننا في الهمز وهو حرف فيــه ثقل حاولوا الخلاص منه فتفننوا في تخفيفه وأكثرهم محاولة لذلك أهل الحجاز لا سيما قريش ولذلك كان أكثر ما يرد في القرآآت من تخفيف الهمزة إنما جاء من طرقهم كابن كثير من رواية ابن فليح وكنافع من رواية ورش وكأبي عمرو فان مادة قراءته عن أهــل الحجاز — واما ما يروى من انه قيل للنبي عليه السلام يا نبيء الله فقال إنا معشر قريش لا ننبر — فهو منكر قال علماء اللغة النبر همز الحرف

وطرق التخفيف عندهم أربعة النقل وهو نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها ثم حــذفها نحو قد آفلح — بفتح الدال وبه قرأ نافع

من طريق ورش

والابدال وهو ان تبدل الهمزة الساكنة حرف مدّ من جنس حركة ماقبلها فتبدل الفا بعد الفتح نحو وامر أهلك بالصلاة — وواواً بعد الضم نحو يومنون وياء بعد الكسر نحو جيت وبه يقرأ ابو عمرو سواء كانت الهمزة فاء او عينا اولا ما الاّ ان يكون سكونها جزما نحو ننسأها ونحو أرجئه او يكون ترك الهمز فيه اثقل وهو تؤوى اليك او يوقع فى الالتباس وهو رئيا

والتسهيل وهو ان تأتي بالهمزة بين الهمزة وبين حرف حركتها وتجعل الحركة التي عليها مختلسة سهلة بحيث تكون كالساكنة —

فان كانت مفتوحة كهمزة سأل جعلت بين الهمزة والألف وان كانت مكسورة كهمزة سئم جعلت بين الهمزة والياء وان كانت مضمومة كهمزة لؤم جعلت بين الهمزة والواو

ولا تقع الهمزة المخففة اولا ابداً لقربها بالضعف من الساكن وهي مع كونها ليس لها تمكن الهمزة المحققة بمنزلتها في الزنة قال الاعشى

أأن رأت رجلا أعشى أضرّ به * ريب المنون ودهرٌ مفسد خبِلُ

فلو كانت الهمزة الثانية ساكنة بسبب جعلها بين بين لانكسر وزن البيت

والاسقاط بلا نقل وبه قرأ ابو عمرو قال سيبويه واعلم ان الهمزتين اذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة فان اهل التحقيق يخففون احداهما ويستثقلون تحقيقهما لما ذكرت لك كما استثقل اهل الحجاز

تحقيق الواحدة فليس من كلام العرب ان تلتقي همزتان فتحققا —•
ومن كلام العرب تخفيف الاولى وتحقيق الآخرة وهو قول ابي عمرو
وذلك قولك فقد جا أشراطها ويا زكريا انا نبشرك •—

ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الآخرة سمعنا ذلك من العرب
وهو قولك فقدجاء آشراطها — ويا زكريا آنا(هذا) ولما رأى بعض
الباحثين فى اللغات السامية كثرة الهمز فى العربية وقلته فى اختيها أشار
الى ان الظاهر انه كان شائعاً فيهما الا انه قل فيها بعدلسبب من الاسباب
غير ان ما ذكرنا من قلته فى لغة قريش التى هى اقرب لغات العرب
الى العبرانية والسريانية يدل في بادئ الرأي على ان الاصل في هذه
اللغات قلة الهمز

وقد نقل فى الاتقان فائدة مهمة عن ابن مجاهد فيها ما يتعلق
بالهمز قال : اذا شك القارئ فى حرف هل هو بالتاء او بالياء فليقرأه
بالياء فان القرآن مذكر •— وان شك فى حرف هل هو مهموز
أوغير مهموز فليترك الهمز •— وان شك فى حرف هل يكون موصولا
او مقطوعا فليقرأ بالوصل •— وان شك في حرف هل هو ممدود
او مقصور فليقرا بالقصر •— وان شك فى حرف هل هو مفتوح
او مكسور فليقرأ بالفتح لان الاول غير لحن فى موضع والثاني لحن فى
بعض المواضع • اه واشار بقوله فان القرآن مذكر الى ما اخرجه
عبد الرزاق عن ابن مسعود قال اذا اختلفتم في ياء وتاء فاجعلوها ياء
ذكّروا القرآن — وقد فهم منه ثعلب ان ما احتمل التذكير والتأنيث

فتذكيره أجود قال بعض العلماء مراده انه اذا احتمل اللفظ التذكير والتأنيث ولم يحتج في التذكير الى مخالفة المصحف ذكر نحو ولاتقبل منها شفاعة . ويدل على ذلك انّ أصحاب عبد الله بن مسعود من قراء الكوفة كحمزة والكسائي ذهبوا الى هذا فقرؤا ما كان من هذا القبيل بالتذكير نحو يوم يشهد عليهم ألسنتهم — • وهذا في غير الحقيقيّ

قال ابن السيد في الاقتضاب عند قول صاحب أدب الكتاب: باب الافعال التي تهمز والعوام تدع همزها : ذكر في هذا الباب اطفأت السراج وقد استخذأت له وخذأت وخذيت لغة — وذكر فيه هذا موضع ترفأ فيه السفن فانكر على العامة ترك الهمز في هذه الألفاظ ثم أجاز في باب ما يهمز أوسطه من الافعال ولا يهمز بمعنى واحد ارفأت السفينة وأرفيتها وأطفأت النار وأطفيتها — ثم قال وقد حكى ان من العرب من يترك الهمز في كل ما يهمز الآ ان تكون الهمزة مبتدأ بها حكى ذلك الاخفش • اه

هـذا وقد جرينا في ضبط الكلم في هذا الكتاب على طريقة المتأخرين فانهم ضبطوا كل لفظ يخشى فيه الاشتباه على الجمهور اما بذكر مثال له مشهور واما بذكر حركاته التي يقع فيها اللبس — مثال الاوّل قولهم : النور بالضم الضوء — والنورة حجر الكلس — • والنور بالفتح الزهر والواحدة نورة — والنُوّار بالضم والتشديد مثله — والواحدة نوّارة — • ونورت الشجرة وأنارت أخرجت نورها — • والمنار بالفتح علم الطريق — والمنارة ما يوضع فوقها السراج

ومثال الثاني قولهم النمر ككتف سبع معروف — وأبو قبيلة وهو النمر بن قاسط • والنسبة اليه نمري بفتح الميم — وماء نمير كسمير ناجع عذبا كان أو غير عذب ونمرى كذكرى قرية من نواحى مصر

وكثيراً مايضمون الى المثال ذكر بعض الحركات مع كون المثال كافيا في المرام خشية ان يكون ذلك المثال مجهول الضبط عند بعض الناظرين في كتبهم أو مضبوطاً عندهم لكن على وجه يخالف الصواب مثال ذلك قولهم المضيعة الضياع يقال فلان بدار مضيعة وهي بكسر الضاد وسكون الياء مثل معيشة ويجوز فيها سكون الضاد وفتح الياء مثل مسامة — وقولهم المشورة اسم من شاورته — وفيها لغتان احداهما سكون الشين وفتح الواو — والثانية ضم الشين وسكون الواو وزان معونة

واما المتقدمون فأغفلوا ذلك في كثير من المواضع لاسيما ما يستغنى عن ضبطه الخواص واقتصروا فيها على الشكل فان كان في الكلمة لغات كرروها بعددها ليتيسر شكلها بالاوجه المختلفة كقول الجوهري قلب النخلة لبها وفيه ثلاث لغات قَلبٌ وقِلبٌ وقُلب — والشكل وان كان كافياً في الضبط الاّ انه كثيراً ما يغفله النساخ — فان لم يغفلوه لم يخل غالبا من خطأ يتطرق اليه اما عن جهل او غفلة — وانما حملهم على الاقتصار على الشكل فيما لايعمّ الاشكال فيه ما كان لهم من العناية بكتب اللغة فانها كانت تروى كما تروى كتب الحديث وتقابل على الاصول المعتمدة وكان كثير منهم جامعا بين صحة الضبط وحسن الخط

فلما فترت الهمم وخشي من شيوع التصحيف فى اللغة تدارك علماؤها ذلك وسلكوا طريقاً يؤمن فيه من العثار وهو الطريق الذي أشرنا اليه أولا . واعلم انهم قد يعينون موضع الحركة وقد يبهمونه فاذا عينوه فالامر ظاهر كقول بعضهم المغرب بكسر الراء على الاكثر وبفتحها والنسبة اليه مغربي بالوجهين — وكقوله الغرفة العلية والجمع غرف والغرفات بفتح الراء جمع الجمع عند قوم وهو تخفيف عند قوم وتضم الراء للاتباع وتسكن حملا على لفظ الواحد — والغرفة بكسر الميم ما يغرف به الطعام .

واذا أبهموه فان لم يكن ثم قرينة كان موضع تلك الحركة هو الحرف الاول مثال ذلك قول الجوهري اللُّعْبَة بالضم لعبة الشطرنج والنرد وكل ملعوب به فهو لعبة لانه اسم — ومنه قولهم اقعد حتى أفرغ من هذه اللعبة وقال ثعلب من هذه اللعبة بالفتح أجود لانه أراد المرة الواحدة من اللعب — واللعبة بالكسر نوع من اللعب مثل الركبة والجلسة .

فان وجدت قرينة تدل على غيره كان موضعها مادلت عليه مثال ذلك قوله القالب بالفتح قالب الخف وغيره والقالب بالكسر البسر الاحمر وقوله الطابع بالفتح الخاتم والطابع بالكسر لغة فيه فان الحرف الاول لا يتصور فيه هنا غير الفتح لوجود الالف اللينة بعده فتعين ان يكون الفتح والكسر راجعاً الى اللام فى القالب والباء فى الطابع

ومما يتعين فيه الحرف الثاني الفعل الماضي من الثلاثيّ لان الاوّل والثالث لا يحتاجان الى ضبط مثال ذلك قوله الحلم بالضم ما يراه النائم تقول منه حلم بالفتح واحتلم -- والحلم بالكسر الاناة تقول منه حلم الرجل بالضم -- والحلم بالتحريك ان يفسد الاهاب في العمل تقول منه حلم الاديم بالكسر فموضع الحركة فى قوله حلم بالفتح وحلم بالضم وحلم بالكسر انما هو اللام الذى هو عين الفعل بخلاف قوله الحلم بالضم والحلم بالكسر فان موضع الحركة فيهما انما هو الحرف الاول وهو الحاء -- واما قوله والحلم بالتحريك فانه يشير به الى فتح الحرف الاول والثاني وهما الحاء واللامّ وانما دلّ قوله بالتحريك على فتح الثاني لان الحرف الاول لا يكون الا محركا والاصل فيه ان يكون محركا بالفتحة ولذلك لا يشيرون غالبا الى حركة الحرف الاول اذا كان محركا بها لانه جاء على الاصل -- والاصل في الحرف الثاني في كثير من المواضع ان يكون ساكناً ولذا لا يشيرون الى سكونه في الغالب لانه جاء على الاصل فاذا كان محركا فان كان محركا بالضمة أو الفتحة نصوا على ذلك واذا كان محركا بالفتحة اكتفوا بالاشارة الى كونه محركا لان الفتحة هي الاصل في الحركات وكثير من اللغويين يستعمل عوض قوله بالتحريك أو محركا قوله بفتحتين نحو قول بعضهم الكبد بفتحتين المشقة من المكابدة لاشيء -- وقوله الكتم بفتحتين نبت فيه حمرة يخلط بالوسمة ويختضب به لاسواد وقوله الكثب بفتحتين القرب تقول هو يرمي من كثب (هذا) -- ومثل ماضي

الثلاثي مضارعه فان موضع الحركة فيه هو العين غير أن العين فيه تكون هي الحرف الثالث فاذا قيل يكتب بالضم كان موضع الضم فيه هو الثالث وهو التاء الا في مثل يقرّ فانّ موضع الحركة فيه يكون هو الثاني لانتقالها من الثالث اليه وقد جرت عادتهم في الأبواب الثلاثة الاول من الثلاثي اذا ضبطوها بالحركات ان يذكروا الماضي والمضارع

ويكون الضبط فيه للمضارع لاستغناء الماضي حينئذ عن الضبط اذ يعلم بذلك كونه مفتوح العين مثال ذلك قول الجوهري الخلابة الخديعة باللسان تقول منه خلبه يخلبه بالضم واختلبه مثله وقوله نسبت الرجل أنسبه بالضم نسبة ونسبا اذا ذكرت نسبه — ونسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر نسيبا اذا شبب بها وقوله اللغوب التعب والإعياء تقول منه لغب يلغب بالضم لغوبا — ولغب بالكسر يلغب لغوبا لغة ضعيفة فيه وكثيراً مايذكرون الماضي ويتبعونه بالمضارع مكرراً من غير اشارة الى ضبط وهذا في الغالب يكون من الباب الاول والثاني مثال ذلك قوله عكفه اي حبسه ووقفه يعكفه ويعكفه عكفا ومنه قوله تعالى والهدي معكوفا يقال ماعكفك عن كذا . ومنه الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس وعكف على الشيء يعكف ويعكف عكوفا أي أقبل عليه مواظبا —.

واما السكون والتشديد فلا يقعان في أول الكلمة فاذا عين موضعهما فالامر ظاهر وان لم يعين فالغالب ان يكون موضعهما الحرف

الثاني الاّ ان تدل قرينة على غيره فيرجع اليها مثال ذلك قول الجوهري زهرة الدنيا بالتسكين غضارتها وحسنها وزهرة النبات أيضاً نوره وكذلك الزهرة بالتحريك — وقوله عثر مخففا بلد باليمن — وعثر بالتشديد موضع وقوله القمطر والقمطرة مايصان فيه الكتب قال ابن السكيت لا يقال بالتشديد وينشد

ليس بعلم مايعي القِمَطْرُ * ما العلم الاّ ما وعاه الصدر

وكثيراً ما يطلق التخفيف ويريد به التسكين مثال ذلك قوله طَرَسُوس اسم بلد ولا يخفف الاّ في ضرورة الشعر لانّ فعلولا ليس من أبنيتهم وقوله القربوس للسرج ولا يخفف الاّ في الشعر مثل طرسوس وعبارة القاموس قربوس كحلزون ولا يسكن الاّ في ضرورة الشعر حِنْوُ السرج وهما قربوسان —

وقد اورد صاحب مختار الصحاح في مقدمة كتابه المذكور فوائد تتعلق بما نحن في صدد بيانه فأحببت ايرادها هنا اتماما لهذا المبحث الذي لا ينبغي للمشتغل بعلم اللغة أن يغفل عنه

قال وكل ما أهمله الجوهريّ من أوزان مصادر الافعال الثلاثية التي ذكر أفعالها ومن أوزان الافعال الثلاثية التي ذكر مصادرها فاني ذكرته إما بالنص على حركاته أو بردّه الى واحد من الموازين العشرين التي أذكرها الآن ان شاء الله تعالى الا مالم اجده من هذين النوعين فى اصول اللغة الموثوق بها والمعتمد عليها فاني قفوت اثره رحمه الله تعالى فى ذكره مهملا لئلا أكون زائداً

على الاصل شيأ بطريق القياس بل كل مازدته فيه نقلته من أصول اللغه الموثوق بها وأبواب الافعال الثلاثية محصورة فى ستة أنواع لاغير

(الباب الاول) فعَل يفعُل بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع والمذكور منه سبعة موازين نصر ينصر نصراً دخل يدخل دُخولا كتب يكتب كتابة ردّ يرُدّ رداً قال يقول قولا عدا يعدو عَدْواً سما يسمو سُمُوّاً

(الباب الثاني) فعل يفعِل بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع والمذكور منه خمسة موازين ضرب يضرب ضرْباً جلس يجلس جُلوسا باع يبيع بيْعاً وعد يعِدو عْدا رمى يرمي رمْيا

(الباب الثالث) فعل يفعَل بفتح العين في الماضي والمضارع والمذكور منه ميزانان قطع يقطَع قطعاً خضَع يخضع خضوعا

(الباب الرابع) فعِل يفعَل بكسر العين فى الماضي وفتحها فى المضارع والمذكور منه أربعة موازين طرِب يطرَب طربا فهِم يفهَم فَهْما سلِم يسلم سلامة صدِئ يصدأ صدَأ

(الباب الخامس) فَعُل يفْعُل بضم العين فى الماضى والمضارع والمذكور منه ميزانان ظرُف يظرُف ظرافة سهُل يسهُل سهُولة

(الباب السادس) فعِل يفعِل بكسر العين فى الماضى والمضارع كوثق يثِق وُثوقا ونحوه وهو قليل فلذلك لم نذكر منه ميزانا نردّه اليه بل حيث جاء فى الكتاب تنص على وزانه ووزان مصدره وانما خصصت هذه الموزين العشرين بالذكر دون غيرها لاني اعتبرتها

فوجدتها أكثر الاوزان التى يشتمل عليها هذا المختصر

قاعدة

اعلم أن الاصل والقياس الغالب فى أوزان مصادر الافعال الثلاثية أن فعل متى كان مفتوح العين كان مصدره على وزن فعل بسكون العين ان كان الفعل متعديا وعلى وزن فعول ان كان الفعل لازما مثاله من الباب الاول نصر نصرا قعد قعودا ومن الباب الثانى ضرب ضربا جلس جلوسا ومن الباب الثالث قطع قطعاً خضع خضوعا ومتى كان فعل مكسور العين ويفعل مفتوح العين كان مصدره على وزن فعل أيضا ان كان الفعل متعديا وعلى وزن فعل بفتحتين ان كان لازما مثاله فهم فهما طرب طربا ومتى كان فعل مضموم العين كان مصدره على وزن فعالة بالفتح أو فعولة بالضم أوفعل بكسر الفاء وفتح العين وفعالة هي الاغلب مثاله ظرف ظرافة سهل سهولة عظم عظما هذا هو القياس فى الكل وأما المصادر السماعية فلا طريق لضبطها الا السماع والحفظ والسماع مقدم على القياس فلا يصار الى القياس الا عند عدم السماع

(قاعدة ثانية) اعلم أن الابواب الثلاثة الاول لايكفى فيها النص على حركة الحرف الاوسط من الماضى فى معرفة وزن المضارع لاختلاف وزن المضارع مع اتحاد الماضى فلا بد من النص على المضارع أيضا أوردته الى بعض الموازين المذكورة وأما الباب الرابع والخامس فيكفي فيهما النص على حركة الحرف الاوسط من

الماضي فى معرفة وزن المضارع لان مضارع فعل بالكسر عند الاطلاق لايكون الا يفعل بالفتح كذا اصطلاح أئمة اللغة فى كتبهم لان اجتماع الكسر فى الماضى والمضارع قليل وكذا اجتماع الكسر فى الماضى مع الضم فى المضارع قليل أيضا لانه من تداخل اللغتين مثل فضل يفضل ونحوه فمتى اتفق نصوا عليه فيهما ومضارع فعل بالضم لايكون الا يفعل بالضم ففي الباب الرابع والخامس لانذكر الا الماضي المقيد والمصدر فقط طلبا للايجاز ومتى قلنا في فعل مضارع بالضم أو بالكسر فاعلم أن ماضيه مفتوح الوسط لامحالة — وكذا أيضا لانذكر مصدر الفعل الرباعى مع ذكر الفعل الا نادرا لان مصدره مطرد علي وزن الافعال بالكسر لايختلف — وكذا نسند كل فعل نذكره الى ضمير الغائب غالبا لانه أخصر فى الكتابة الا فى موضع يفضى الى اشتباه الفعل المتعدى باللازم اشتباها لايزول من اللفظ الذى نفسر به الفعل أو يكون فى اسناده الى ضمير المتكلم فائدة معرفة كونه واويا أو يائيا نحو غزوت ورميت فيكون اسناده الى ضمير المتكلم دالا على مضارعه أو يكون مضاعفا فيكون اسناده الى ضمير المتكلم مع النص على حركة عين الفعل دالا على بابه نحو صددت ومسست ونحوهما أو فائدة أخرى اذا طلبها الحاذق وجدها فحينئذ نسنده الى ضمير المتكلم ونترك الاختصار دفعا للاشتباه أو تحصيلا للفائدة الزائدة وانما نذكر فى أثناء المختصر لفظ الماضى مع قولنا انه من باب كذا لفائدة زائدة على معرفة بابه وهى كونه متعديا بنفسه أو بواسطة حرف الجر وأى حرف

هو وأما ماعدا الثلاثى من الافعال فانا لم نذكر له ميزانا لانه جار على القياس فى الغالب فمتى عرف ماضيه عرف مضارعه ومصدره الاماخرج مضارعه أو مصدره عن قياس ماضيه فانا ننبه عليه ـــ • وكذا أيضا لم نذكر الفعل المتعدي بالهمزة أو بالتضعيف بعد ذكر لازمه لان لازمه متى عرف فقد عرف تعديه بالهمزة والتضعيف من قاعدة العربية كيف وان تلك القاعدة مذكورة أيضا فى حرف الباء الجارة من باب الالف اللينة فى هذا المختصر فان اتفق ذكر الفعل لازما أو متعديا بواسطة فذلك لفائدة زائدة تختص بذلك الموضع غالبا

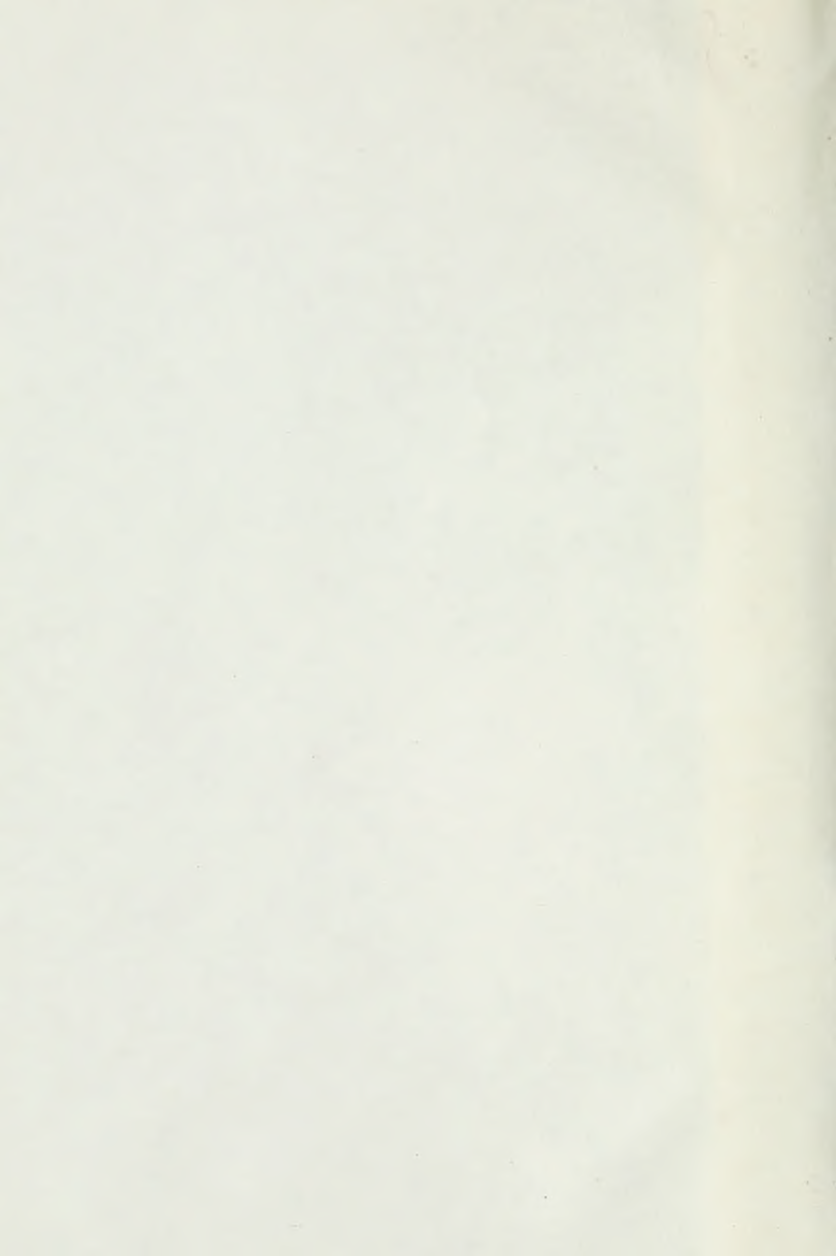
(قاعدة ثالثة) اعلم انا متى ذكرنا مع الفعل مصدرا بوزن التفعيل أو التفعل أو التفعلة او ذكرنا مصدرا من هذه الازان الثلاثة وحده أو قلنا فعله فتفعل كان ذلك كله نصا على أن الفعل مشدد اذ هو القاعدة فيؤمن الاشتباه فيه مع ذلك والتزمنا في الموازين أنا متى قلنا فى فعل من الافعال انه من باب ضرب او نصر أو قطع أوغير ذلك من الموازين المعدودة فانه يكون موازنا له فى حركات ماضيه ومضارعه ومصدره أيضا على التصريف المذكور عند ذكر الموازين لاعلى غيره ان كان للميزان تصريف آخر غير التصريف الذي ذكرناه * وأما الاسماء فانا ضبطنا كل اسم يشتبه على الاعم الاغلب إما بذكر مثال مشهور عقيبه وإما بالنص على حركات حروفه التى يقع فيها اللبس وان كان كثير مما قيدناه يستغني عن تقييده الخواص ولهذا أهمله الجوهري رحمه الله تعالى لظهوره عنده ولكنا قصدنا بزيادة الضبط بالميزان أو بالنص عموم

الانتفاع به وان لا يتطرق اليه بمرور الايام تحريف النساخ وتصحيفهم
فان اكثر أصول اللغة انما يقل الانتفاع بها ويعسر لعلتين
(احداهما) عسر الترتيب بالنسبة الى الاعم الاغلب
(والثانية) قلة الضبط فيها بالموازين المشهورة
وقلة التنصيص على أنواع الحركات اعتمادا
من مصنفيها على ضبطها بالشكل الذى
يعكسه التبديل والتحريف عن
قريب أو اعتمادا على ظهورها
عندهم فيهملونها من
أصل التصنيف

وهنا تم ما أردنا ايراده في شرح خطبة الكافي
من الفوائد التي لا يستغني عنها من أحب
ان يكون على بصيرة في علم اللغة — وقد
آثرنا الايجاز في كثير من المواضع
ونسأل من لا يخيب راجيه ان
يقيلنا العثرة وان يجعلنا
ممن يجزى بالحسنى
و











al-Jaza'iri, Tahir ibn Salih
Kitab al-Kafi fi al-lughah